

لِفُوسٍ .. وَأُخْرَى

شاحبة

د. نانسي الفرزدق

مكتبة المشرق
للنشر والتوزيع

نفوس.. وأخرى شاحبة

د. نانسى الفرزدق

الطبعة الأولى



بطاقة مهرسة

ashraf عام الناشر / وليد عاشور
إخراج والتصميم والداخلى / عمرو على
رقم الإيداع /
الترقيم الدولى /

الطبعة الأولى

دار النشر: مكتبة المشارق للنشر.

العنوان: 26 ش عبد الحكيم الرفاعى -م. نصر - القاهرة.
جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: dar.almashareq@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

إهداء

إلى روحي أمي وأختي..

لكل ما عَلِمْتُ مثاني إياه..
للرحلة التي مشينها سوياً ولم أستطيع أن
أخفف وطأتها عليكما!

إلى فراس..

مرة عينى.. ليكن عقلك
متفكراً وقلبك رحيمًا ونفسك أبية، ولتكن
خجوراً بي كما أنا بك دائماً!

فهرس

٣	إهداء
٧	مقدمة
١١	أكثر من مجرد حدس
١٥	الحب
١٩	ما بعد الحب
٢٣	العدل الإلهي
٢٧	حتى أنت يا بروتّس
٣٣	كيف تعطى ما لا تملك؟
٣٨	نحن نعرف ما تريده
٤٥	سارقو الإنسانية
٤٩	سجن كبير
٥٣	ظلم العباقة
٥٧	سلام.. على المتنق
٦١	علامة رضا
٦٥	فریما یتعطل السلك
٧١	فرق توقيت
٧٥	أبحث عنك
٧٩	أشکال القوى
٨٣	قليل من الخوف
٨٧	درية وعد

تابع فهرس

١٦	تصنيفات البشر
٥٥	كم تساوئ قيمتك؟
٩٩	لغة وحيدة
١٠٣	حتى ستستيق إلى؟
١٧	نسیان
١١١	وطن أم سكن
١١٥	وما نحن إلا كلمات
١١٦	أنت أم أنا
١٢٣	السم يجد الفرشة
١٢٧	هذه الرسالة.. إليك
١٣١	رهان الجحيم
١٣٥	شکة دبوس
١٣٩	طائر الرُّخ
١٤٥	إنسانية حرب
١٤٧	عار وشعار

مقدمة

أؤمن جًا أننى «Old Soul»

وكلما مر الوقت تأكدت أكثر أننى تواجدت فى هذه الحياة بصورة أو بأخرى فى زمن آخر.

نعم.. أزمنة أخرى، وليس عوالم متوازية! وربما تواجد بظروف وملامح مختلفة في إحدى العوالم المتوازية كنظرية الأبعاد المتناظرة التي اقترحها "أينشتاين".

ولربما ذلك ما يفسر مدى شعورى الدائم بالجهدين الذهنى والجسدى.
لكننى على الجانب الآخر أجد الكثير من الأصدقاء القدامى، التى
تفصلنى عنهم بضعة حُقب زمانية أو حتى عدة قرون.
فأعرفهم بأفكارهم وكلماتهم، كم يريخنى النقاش معهم!

كيف أن تجاربهم تشابهت مع الكثير من تجارب حياتي، فجعلت لنا نفس الآراء والمشاعر دون أن يعرف أحدهنا الآخر. فأنا أجدهم يقولون كلماتى ويترجمون أفكارى ويتمسون أحاسيسى حتى قبل أن أقرأ لهم.

لم أقلدهم أو أتأثر بهم، بل هو نوع من التخاطر الفكري الذى تفصله عشرات وربما مئات السنين.

هذا التخاطر يُضمن جراح غريبي من الواقع ومن يتواجد به من أناس، هؤلاء الحمقى السطحيون، الذين يقبحون في كل بقاع الأرض في زماننا هذا، هؤلاء الذين يفقدون الإنسانية، يفقدون الوعي وحس المسؤولية، لا يسعون إلى تطوير أنفسهم، ولا يدركون قيمة الحياة، لا يتذكرون في خلق الله، ولا يهونون على أهليهم تقدم العمر.

لا يعلمون شيئاً عن التاريخ، ولا يأبهون لتفسير ما يحدث حولهم وما سيترتب عليه في حياة أبنائهم.

لا.. ليست غرابة فقط، بل شعور بغضب شديد، وأتماسك أعصابي حتى لا أصفع أحدهم. وبدلاً من ذلك ابتسامه الصفراء وأحاول الاختفاء من المكان الذي يتواجد به هؤلاء البشر قبلما يجرني أحدهم لنقاشه السفه ثم يغلبني بحكم خبرته في ذلك.

لا أقصد أن كل من عاشوا قديماً بذلك الوعي والخيال، وليس كل من يعيش في هذه الحقبة بهذا الحمق، لكن البحث في أفكار من كتبوا عن أفكارهم أكثر سهولة وصراحة من إيجاد من هم بمثل هذا الفكر ويستطيعون التعبير عنه بتلك الأريحية واللباقة.

أعتقد أن هذا دافعى الأول والأهم للتعرف على أشخاص جدد، فأنا فقط أحاول إيجاد إنساناً، رجلاً كان أو إمراة - فقط التكوين البشري من لحم ودم - ليكون بذلك المستوى الفكري الذي أستطيع أن أتحاور معه دون تحيز أو تعصب أو انحدار أخلاقي.

ولعلى هنا اختلف مع "ويليام تريفور" عندما قال: "أشعر بالاكتئاب عندما لا أقرأ، فأنا بحاجة إلى صحبة أشخاص لا وجود لهم".

فإن القراءة هي معبرى لإيجاد الأصدقاء، ولعلى أتمنى حقاً أن ألتقي

بهم وجهاً لوجه.

وأنا صغيرة كنت أحب قراءة روايات الأدب العالمي، لكنني الآن أفضل قراءة السير الذاتية والأحداث التاريخية؛ لأنني على غواص النفس الإنسانية وأتعلم من تجارب وأخطاء من سبقوني وهم يتلون تاريخ الحقبة الزمنية التي عاصروها ومدى تأثيرها عليهم.

وبذلك أصبحت أكثر هوساً بالاحتفاظ بالاقتباسات لأكتب نفدي لها، فأتفق مع جزء منها أو كلها، اختلف تماماً مع تلك المقوله رغم اتفاق شخصيتي في المجمل مع شخصية قائلها والعكس صحيح. وقد قال سيدنا على: ”الحكمة ضالة كل مؤمن، فخذوها ولو من أفواه المنافقين“.

وعندما فكرت أن لا جدوى من كتاباتي تلك، تذكرت أصدقائي القدامى وكيف أنهم لم يتركونني وحيدة..

فقررت أن أكون صديقة لمن بعدي .. لأواسي غربتهم أيضا!!



الصحفي الأمريكي "فيليپ جراهام" عام ١٩٦٣

أكثر من مجرد حدس

فى الواقع إذ كنت تحب الخصومات العالمية التى تنتشر فى نوفمبر من كل عام أو ما يُسمى بـ "Black Friday"

فقد تم ابتكارها لتنشيط حركة التجارة والبدء بتحريك عجلة الاقتصاد من جديد بعدما أصابه من تدهور لم يسبق له الحدوث من قبل.

فاجأ "روجر بوسن" المحلى الأمريكى بورصة وول ستريت "بالقاء خطاب يتباًأ فيه بانهيار البورصة والسوق العالمية فى سبتمبر من العام ١٩٢٩ . وبعد أقل من ٥٥ يوماً من هذا الخطاب بدأ ما يُدعى "بالكساد الكبير" ، فانهار السوق بأكثر من ١٢ بالمائة فى اليوم الأول ، واستمر حتى منتصف عام ١٩٣٢ بمعدل خسارة وصلت إلى ٨٩ بالمائة.

الواقع أن السبب الرئيسي فى هذه الفاجعة الاقتصادية تبدأ فى إنجلترا، حيث رجل الأعمال اليهودى "كلارنس هاترى" ، الذى قام ببيع سندات مزورة فى البورصة؛ لاحتياجه للسيولة لدمج إحدى شركاته للحديد والصلب.

بعد اكتشاف الأمر متأخراً، تم الحكم عليه بأربعة عشر سنة بتهمة الاحتيال والنصب، لكن توابع فعلته أدت إلى فقدان ما يقارب من ٣٠ مليون وظيفة وتشريد ملايين العائلات فى العالم.

السؤال هنا يكمن كيف استطاع "بوسون" مخالفه باقى الاقتصاديين الذين تجاهلوا نبوءته لأكثر من عامين؟ كيف رأى ما لم يروه؟ لم يكن هو من تسبب فى ذلك ولم يكن دجالاً يعلم الغيب.. لكنه كان يمتلك شيئاً لم يملكون وهو البصيرة.

فالبصيرة هى التصرف من خلال رؤية بواطن الأمور، من استنباط المعلومات أى معرفة عشر معلومات من ثلاثة فقط تملکهم بالفعل، من التركيز على ما يُقال وما يُكتب بين السطور، هو أن ترى التفاصيل الدقيقة

أكثر من مجرد حدس

في كل صورة، هي ربط المسببات والنتائج حتى وإن بدت شديدة البعد عن بعضها البعض.

كما أن تصفحك في ما مر من أحداث يجعل تنبؤك شديد القرب مما سيحدث؛ قياسا على مارأيته من مقدمات مماثلة.

وبما أن البصيرة موهبة فأنت أيضا تستطيع تمييزها وهنا تأتي الكلمة الألمانية "Ansatz" أي "Educated Guess" وقد بدأ استخدامها في الفزياء و الرياضيات وقد ذكرت هاذين المجالين لتتأكد أنه نوع من التفكير الممنهج وليس مجرد حدس.

بل أن الحدس فقط يعطيك الاتجاه الذي تبدأ فيه توجيه طاقاتك لجمع الأدلة بأسلوب معين، ولذلك فهو يحتمل الصواب والخطأ، وتنمية هذه الموهبة تتبع في تقليل نسبة الخطأ من خلال وضع مراحل للاستنتاج، ثم تأكيد كل مرحلة على حدى، بحيث إذا استطعت تأكيد إحداها، تستطيع تصحيح أو تغيير ما بعدها أو قبلها، حتى تصل إلى دليل مادى على تأكيد نظريتك ككل. وبتكرار ذلك الاستنتاج التعليمي تعرف متى تثق أو ترفض شخصا أو أمراً ما، كل ذلك يحتاج للتركيز الذهني الشديد، فأغلب الناس ستري هذه العلامات ولن تبصرها.

فالآذن تسمع ولا تصغي، تماماً لأن أحدهم يكلماك وأنت تضع سماعات الموسيقى في أذنيك.

وهذا خير مثال على وجود الأداة والاستخدام ولكن ليس الوصول لأقصى طاقتها الإستيعابية، فتخيل أنك تمشي بسيارة سباق في شوارع وسط البلد أى على ٣٠ كم في الساعة، مازالت سيارة ومازالت توصلك إلى وجهتك، لكن شتان عندما تضعها على الطريق الذي صُمم من أجله.

هذا بالضبط عقلك وعيناك وأذناك تستخدمهم كما تستخدم خاصية "power saving" في تليفونك المحمول، فتفوتك الكثير من التفاصيل التي قد يراها المستبصرون!



موعد غرامى ١٩٢٠

الحب

اختلف الناس في مفاهيمهم للحب كما لم يتقدوا على شيء من قبل. ذلك الشعور الذي يجعل قلبك يخفق سريعاً ويشتت تفكيرك ويجعلك تقلع الكثير من التصرفات الحمقاء. فكيف تأتي نسمات الحب لتخلج قلبك دون أن تشعر، وكيف أن عينيك لا تبصر إذا لم تر حبيبك. فمن يحب تقاد لا تفرقه عن طفل في الرابعة من العمر عندما يتحدث بما ترقق من الكلام المبعثر مع أغلى إنسان على قلبه.

لا أعرف لماذا يصر البعض على مفهوم الحب من النظرة الأولى.. فالحب يُقاس باستمراريته.. أن يظل إحساسك وعفوانك بنفس القوة، إذا لم تزد. فالحب الناجح هو الذي يبني على أساس حقيقة موضوعية، لا يشترط طول أو قصر مدة وضع تلك الأساسيات، المهم كيفتها وقدرة الطرفين على الالتزام بها.

مصدر الحب القلب أم العين؟

إنه مزيج بينهما مُضافٌ إليه نكهات من العقل فهو - لمن يملكه - يقيس مدى التوافق ويبني هيكل التفاهم، فلا يمكن أن تتذكر أن التوافق الفكري هو أساس نجاح العلاقة بين طرفين. ولا تنس اختلاف مقاييسك طبقاً لعمرك، فقد تشدق براءة ضفائر بنت الجيران بمريلتها الكحلية واحتضانها للكتب، وقد تمنى سيدة تستيقظ لتجدها بجانبك في ما تبقى لك من أيام.

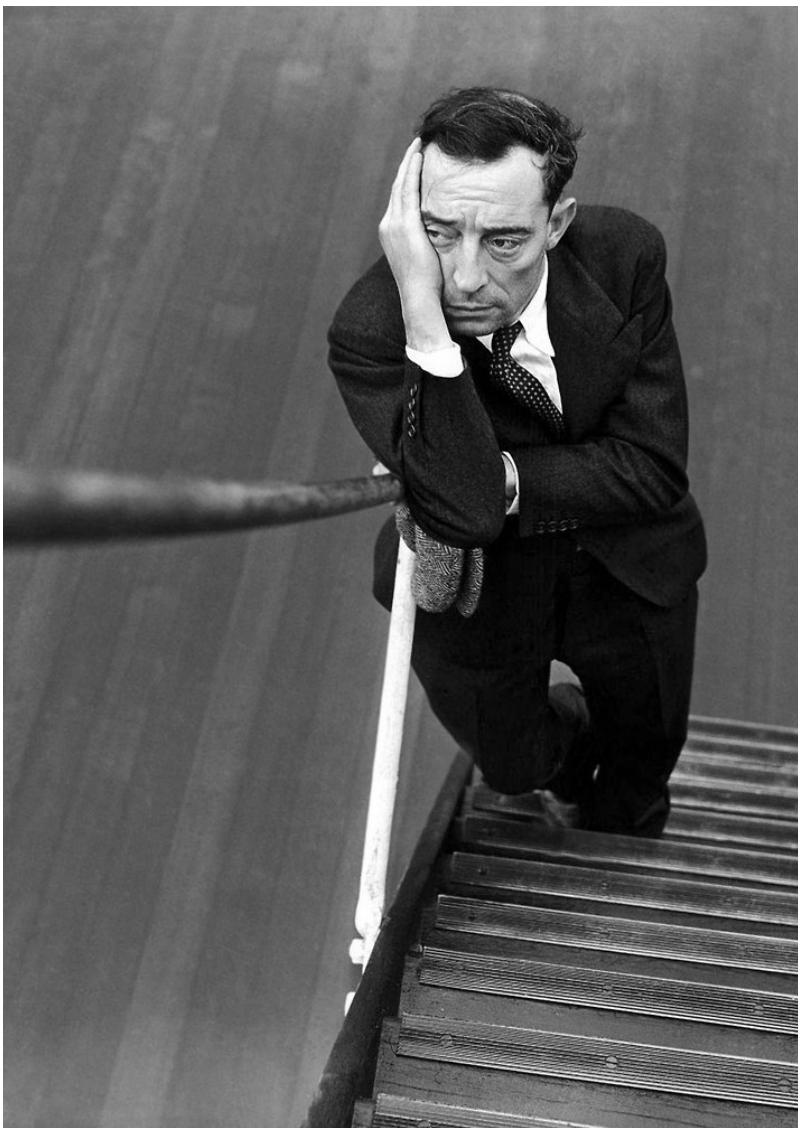
أما القلب فشتاق للحنان وعدم التكلف فجب أن تشعر أنك على طبيعتك مع من تحب، وتحب نفسك وأنت معه وترى الحياة أكثر وضوحاً بعينيه. والعين تتساق للانجداب الجسدي، وهناك أيضاً "الفيمونات" وهي هرمونات تضع بصمة مختلفة لكل منا.

وقد تشعر أن من يحبك يحتضنك بعينيه.. بعينيه فقط.. دون أن يقترب منك، فتصالك تلك المشاعر كإشارات الواي فاي!

أكنت تتخيل أن عزف "محمد فوزي" في أغنية "شحات الغرام" لـ "ليلي مراد" في الأفلام فقط.. فكر مرة أخرى.

فى إحدى القرى الصينية، تسمى قرية "تسونج يانج" التي يعتقد أهلها أن الغناء للحبيب جزء متأصل من ثقافتهم، وكونك من أحد أعضاء "قومية دونج الغنائية" هو إحياء لتراثهم. وقد قاموا بتقديم عروضهم فى أكثر من سبعين دولة حول العالم. الجميل فى الموضوع أن رغم وجود الفتيان والفتيات فى هذه الفرقة، إلا أن عندما يُعجب فتى بإحدى الفتيات معه، لا يقول لها ذلك أثناء التدريب، بل يذهب إلى بيتها ومعه آلة الوترية معبراً لها عن حبه، وإذا استجابت لذلك النداء يتم الزواج. والمسئولون عن تدريب الفرقة هما زوجان تعرفا على بعضهما البعض عن طريق الفرقة وهما صغاراً. يقومان بزراعة حقلهم فى الصباح، ويدربان أعضاء الفرقة ليلاً.

عذراً أيها المتعلمون العمليون، لا يمكن أنكم تبنلون جهداً جسدياً أكثر من مزارعين بسطاء يعملون دون أى تكنولوجيا، ولا يمكن أن تمرؤن بضوائق مادية أكثر منهم.. ولكنهم بكل بساطة لم يفقدوا أرواحهم، يحافظون عليها بمنح من يهتمون لشأنهم الحب بكل رقة وعذوبة. ومازالوا يعملون ويكدحون.. فما عذركم أيها البداء المتصدقون؟!



صورة للفنان “باستر كيتون” ممثل الأفلام الصامتة

ما بعد الحب

كانا أول سؤالين أطرحهما على شخصية ما أتوق لاكتشاف أعماقها هما ما أسوأ وأفضل يومين في حياة ذلك الشخص، لكي أرى ترافق تلك الدمויות تحبس الكلمات، حتى وإن لم يذكر أى تفاصيل عن ذلك الموقف. وفي اللحظة التالية أستمع إلى وصف هائل وفرحة رائعة لما كان أفضل ذكرى على الإطلاق.

لكنني الآن أسأل سؤالين آخرين، أولهما كيف تتصرف وأنت حزين، أنتطوي منعزاً عن كل الناس؟ أستثنى شخصاً ما من هذا الانزعال؟ والثاني هو كيف تبدو وأنت غاضب؟ ما مدى ذلك الغضب؟ ما الذي يوقد ذلك الوحش الفاس الذي يقع بداخلك؟

ذلك لأن الناس يتحولون إلى نقىض مخيف وقت الاختلاف..

فنصبح حبيبك عدوا تخشاه..

تخفي أوراقك وأموالك عنه بعدما كنتما تتظمان كل شيء سوياً..

ويستشيطك كلامه غيظاً..

وتأخذك نظرات عينيه إلى غربة البحر الميت، حيث تختفي هناك أحياء المخلوقات وتختفي في عينيه أحاسن النوايا.

فما ماهية الزر الذي تضغط عليه ليختفى ذلك الوهم الجميل الذي جمعكم يوماً، فتضيع هذه المشاعر كما لو أن موجة هائجة جاءت ومسحت كل ما كان مكتوباً على الرمال من احترام وود بينكم.

وأصبحت الفجوة في التفاهم قبلة موقوتة تنسف العلاقة في أي وقت حتى وإن استمرت سنوات.. فالاختلاف يولد العند والعند يولد الكفر.

قد خلق الله طبيعة الإنسان اجتماعية، فرفض تغلفه بالوحدة ويحتاج لمن

يشاركه أفراده النادرة وأحزانه المتزايدة. فالمشاركة تهون الطريق، وقد أدخل الله تلك الرغبة في البشر حتى يحفزهم على إنشاء أسرة، ووضع الحب الفطري في قلب الوالدين ليظلان يحنوان على أطفالهم.

لكن لماذا تضيع تلك الأسس؟ فكل من هب ودب ينجب أطفالاً حتى وإن لم يكن يعرف كمية المسؤولية التي يتطلبها الحفاظ على هذه النعمة، فقط لأنها نتيجة لحدث روتيني لا أكثر !!

فحقاً أضم صوتي إلى "مها القلمش" عندما قالت: "توقفوا عن الإنجاب.. توقفوا عنه مادمت غير قادرٍ على التربية. هذا الكم الهائل من الحمق والمخربين والأغبياء كافٍ جداً"

هناك تلك الأسطورة القديمة التي تحكي أن الملك "مايداس" هزم كل أعداء الإله "أبوللو"، فأهداه "أبوللو" طوق به ثلاثة قطع ذهبية، يستطيع به "مايداس" أن يحول كل ما يلمسه إلى ذهب.. ثم جاءت ابنته لتعاب عليه فاحتضنها، فتحولت إلى تمثال من الذهب، أخذ بيكي "مايداس" على فعله وترجى "أبوللو" أن يعيد الحياة إلى ابنته. قال "أبوللو" لـ "مايداس" أن عليه أن يضع كل قطعة ذهبية من الثلاث قطع في معبد ناء، كل معبد منهم في جهة مختلفة من العالم.

سافر "مايداس" شهورا طوال ليجد كل معبد حده "أبوللو" ليتخلص من الطوق نهائياً.

وعندما عاد إلى قصره، دخل مسرعاً إلى حيث تمثال ابنته فدببت بها الحياة من جديد.

وسُميّت هذه المخطوطة بتضحية الحب.

فإذا كنت لا تستطيع الإبقاء على شريك.. فأرجوأن تكون مستعداً لفعل المزيد من أجل أبنائك!

العدل الإلهي

فى يوم خانق ذى شمس حارقة، كنت فى إحدى المصالح الحكومية، لفت نظرى تلك السيدة العجوز التى سرعان ما بدأت الحديث مع كل من فى الحجرة؛ آملة ان تطوى مل الانتظار. وبعد حوالى الساعة جاء دورها، وقبلما تهم بالرحيل، قالت لى : ”أتعلمين يا فتاتى؟ هذه الدنيا ليست بدار عدل“.

فى طريقى إلى المنزل، لم تفارقنى تلك الكلمات، ولم أستطع التفكير كيف أن الدنيا ليست عادلة بينما العدل من أسماء الله، وحاشا الله أن يكون الله ليس بعادل. لكن كل ما فى هذه الدنيا من قلب للموازين يجعل المرء يتتساعل فى كيفية وزن هذه المعادلة.

كان علىَّ أن آخذ قسطاً من النوم حتى أستطيع التفكير ملياً في حل يقبل تلك المعارضة، حل يجعلنى أجدد ثقى وأثبت نيتى بعد الله، بينما يتقبل عقلى المهازل البشرية التي تحدث كل ثانية في تلك الدنيا التي لا تبقى على حال.

ثم تبتهت أن حكم الله على الدنيا أنها دار لهو وفنا، فترة وجiza بالنسبة لحسابات الزمن الإلهية، وأن الدار الآخرة هي الجزء الأعظم والخالد من حياة البشر، هي اللا منتهى، حين تتوقف تماماً كل عقارب الساعات التي تواجدت يوماً على وجه الأرض، فالزمآن جند من جنود الله.

والفكرة السائدة أن الله أعطى لكل إنسان أربعة وعشرين قيراطاً من النعم، لكن بتقسيم مختلف هي فكرة قاصرة جدًّا، لأنها ترکز على نعم الدنيا فقط وليس محسوباً معها الجزء في الآخرة.

وينفس مبدأ تمدد الزمن أو الإبطاء الزمني "Time Dilation" الذي تقسره نظرية النسبية الخاصة لأينشتاين: فإنه إما نتاج فرق في السرعة أو فرق في قوة الجاذبية، فمرور ساعة على سطح الأرض تعنى أربعين دقيقة على سطح المشترى؛ وذلك لقوة الجاذبية القصوى للمشتري.

وبالمثل فإن رواد الفضاء الذين يسافرون لسطح القمر، يرجعون إلى الأرض في سن أصغر من زملائهم من مكثوا على الأرض، والفارق في العمر بينهم سيتحدد بالمدة التي قضوها هناك وبالسرعة التي تحركوا بها بالنسبة لسرعة الضوء.

ورغم كون اختلاف قياس الزمن مثبت فزيائياً، إلا أن تفاصيل التحكم به يطرح الكثير من الأحاجيات العلمية التي قد يتم حلها أو تظل من الغيبات السماوية حتى يأذن الله.

قال "المتبني": "ومامن يد إلا يد الله فوقها، ولا من ظالم إلا سُبْلِي بأظلم".

لكن هل كل ظالم يلاقى جزاء أفعاله في الدنيا؟

القوانين البشرية وضعية، أي أن تم صياغتها بآراء مجموعة من البشر بشكل عام وليس تفصيلاً لكل حالة على حدة، وبذلك قد يفر قاتل من براثين القانون لعدم اكتمال الأدلة التي نص عليها القانون لإدانة شخص ما، وقد يتم ثلثق تهمة ببراءه واعتبار القانون له مجرماً لجحكة الأدلة ضده.

وبذلك فهذه القوانين تفتقر إلى النظرة الشمولية الإلهية، فوحده الله يعلم السرائر ويرى ما اكتتfe كل شخص وما سيقدم عليه، فلا يحتاج إلى شهادة شهود ولا حيازة أدلة لمعرفة الحقيقة.

ولست هنا لانتقاد القوانين، فقدرات الإنسان قليلة جدًا لما يتطلبه العدل، وما هي إلا اجتهادات يتحمل وزرها من يصدر القرارات، لذلك كان القضاء في الإسلام تكليفاً كبيراً أكثر منه شرفاً، فماذا نملك - نحن البشر - لنكون عدل الله في الأرض؟

وهنا يأتي العدل الإلهي الذي قد يتم تحقيقه في الدنيا وأضحاً للعيان، وإنما يؤجله الله بعد وفاة الإنسان في قبره وعلى البرزخ ويوم الحساب.

فتكون الأولى عبرة لمن يعتبر وتكون الثانية فتنة يغتر بها الغافلون، تماماً كما اجتمع الناس حول قارون.

وكم أحب أن أرى عدل الله في الدنيا كما دعا الشعرواي "اللهم إِنْ بَعْضَ خَلْفَكَ قَدْ غَرَّهُمْ حَلْمُكَ وَاسْتَبْطَئُوا أَخْرِنَكَ، فَأَسْأَلُكَ أَلَا تَمْهِلُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونُوا أَسْوَةً لِكُفَّارٍ غَيْرِهِمْ".

لكن الله له في خلقه شؤون لا يعلم مبتغاها غيره، ولم يسترح حقاً إلا عندما تبهت لقول الله تعالى في سورة "آل عمران":

(وَلَا يَحْسِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنْذِلُ لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنَّفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنْذِلُ لَهُمْ لِيَرْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (١٧٨).

لذلك فإن عدل الله هو معادلة تساوى جمع كل من نصيب الإنسان في الدنيا ومحازاته في الآخرة نعيمًا أو عذاباً.

وإن خلود الآخرة يعني انتهاء التعرف على الزمن، ويصبح العمر الذي قضاه كل منا ما هو إلا نقطة في بحر الامتهناني الزمني.



تمثال "يوليوس قيصر" أول إمبراطور لروما، تم اكتشافه عام ١٨٦٣

حتى أنت يا بروتوس!

نظر لي أخي يوماً ما فائلاً: "أتعلمين؟ إذا اجتمع جميع الناس على اتهامك بشيء ما، ثم قلت لي حقاً أنك لم تفعليها.. لصدقتك أنت، حتى وإن كانت كل الدلائل تشير عكس ذلك" .. كان ذلك مستوى الثقة التي تربيت عليه.

للخيانة العديد من الأنواع، قد تكون معنوية أو جسدية، متعمدة أو غير متعمدة، عابرة أو طويلة الأمد، قد يترتب عليها خسارة ذلك الشخص أو خسارة حياتك، لكنها لا يمكن أن تأتى إلا من شخص قريب.

وقد أجاد "جبران خليل جبران" وصف الخيانة عندما قال: "لم أمت عندما أصابت الرصاصة قلبي، لكنني مات عندما رأيت مطافئها".

قال الله في سورة "التحريم": (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ ثُوِّيٌّ وَامْرَأَتٌ لُّوطٌ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَا هُمَا) (١٠).

لم تكن الخيانة هنا إلا في العهد، فقد قال "سفيان الثوري" عن "ابن عباس" في تفسير الآية، أن إمرأة نوح كانت تخبر الناس أنه مجنون، أما إمرأة لوط فكانت تدل قومها من يعلم السوء على ضيفه.

وهذا التفسير القرآني يؤكد أن الخيانة الفعلية هي الطعن المعنوي، سواء بإبطال الثقة أو بعدم تنفذ واجب أو إلتزام معين.

فعندما يتخلى عنك أحد أصدقائك وأنت في محنـة فـهي خـيانـة، وعندما تبعدك زوجـتك عن صـلة رـحمـ والـديـك أو تـمنع عـنك روـيـة أـبنـائـك فـهي خـيانـة، وعـندـما يـهـدرـ مـحـامـيكـ حـقـكـ القـانـونـيـ فـهي خـيانـةـ، حتـىـ عـندـماـ لـايـخـبرـكـ طـبـيـكـ بـطـرقـ العـلاـجـ الأـخـرىـ المـتـوفـرـةـ فـهي خـيانـةـ.

أما كون الأسرة قائمة اجتماعياً ورسمياً، لا يعني أبداً توفر الاستقرار النفسي، فهناك العديد من الخيانات الزوجية من الطرفين.

حتى أنت يابروتس!

وإذا سألت الزوج لماذا تخون، لماذا لا تصلح الأمور مع زوجتك؟ أو لماذا لا تتركها رسمياً وتتزوج من غيرها؟

تجد هذا الرد المتكرر من الأزواج، فهي عشرة وأم أولادي، لكنها لا تفهمنى، لا تشعر بي، لا تضمد جراحي، فلقد فقدنا التواصل سوياً وأصبحنا معاً فقط من أجل الأولاد ورعايتهم.

وعندما ترد متسائلاً هل ترضى أن ترك زوجتك مجرد وضع اجتماعي وتعود وممول فقط، وتذهب لقابل رجلاً آخر؟

تجد الحُمرة والغضب في رد شرقى متوقع "بالطبع لا، لا يمكن أن يصدر منها شيء كهذا".

ما لا يعرفه هؤلاء هو أن الخيانة بمخالف صورها تُفقد الإنسان احترامه لذاته و يجعلها شديدة التخطيط. فتارة ظالم وتارة باكٍ، تارة في قمة السعادة وأخرى في قمة الغضب. كونه غير قادر على الاختيار يعني أنه لا يفهم ماذا يريد، ولا يدرى لماذا يريد، ولا يستطيع إعطاء قيمة محددة للأشخاص المحيطين به ففقد ميزة التفاضل بينهم.

أما الزوجات اللاتى يخن، فلا يخن أنفسهن وأزواجهن فقط، بل يخن أبنائهن أيضاً.

فكيف لأم الاعراض على مرافقة إبنتها لزميالها، وهى ترى والدتها تفعل أسوأ من ذلك، وربما تلجا الفتاة لشخص غير ملائم ل تستشيره، فقد فقدت الثقة فى والدتها بالفعل.

فأم الله الكل سواء، رجل كان أم سيدة، نفس الثواب والعقاب.. لكن فى الدنيا، الأم هي عماد الأسرة، فبدونها لا يتبقى شيء للحفاظ عليه.

حارب "يوليوس قيصر" لأجل روما لأكثر من خمسة عشرة عاماً، وعندما شعر أنه قد أدى واجبه كجندي وأن الوقت قد حان ليستمتع بالدفء والطمأنينة في بلاده، يتبدل كل ذلك بالتأمر عليه وقتله بطنعات أثناء إحدى جلسات مجلس النواب الذي كان يترأسه.

حتى أنت يا بروتس!

وكان “فيصر” قد أحب ”بروتس“ كابنًا له، بعض الأقاويل تقول انه كان ابنه غير الشرعي. وقد مات وهو يردد ”حتى أنت يا بروتس“ وهو الذي كان آخر من طعنه ثم سقط ميتاً على يديه.

وبغض النظر عن اختلاف دوافع هؤلاء الرجال لتلك المؤامرة، وبغض النظر عن نهايتم المؤلمة إثر تلك الحادثة، فإن هناك نتيجة واحدة لا يمكن الاختلاف عليها في هذه الفوضى، وهي مقتل ”يوليوس فيصر“ على يد من وثق بهم، فمنهم من تربى على يده، ومنهم من شب معهم، ومنهم من كان شاهداً ليوم مولده.

فقد أطاحت الخيانة بكل تلك الذكريات، بمئات الأيام التي جمعت نفس الآمال في كسب كل معركة-حربية كانت أم سياسية- والترقب والقلق إثر إصابة أحدهم، ومحاولة كل منهم تبديد ذلك اليأس الذي يعقب الهزيمة. كيف تحارب مع شخص ومن أجله ومن أجل كل الأفكار والمعانى التى تجمعكم، ثم ينتهى الأمر بأسوأ الاحتمالات الممكنة التي قد تطرأ على ذهنك في سيناريو بهذا النبل والشرف، فتنتهي بكل الخسارة والوضاعة.

صور فلم ”فى بيتنا رجال“ حقبة الاحتلال الانجليزى لمصر، وكيف كان البوليس المصرى يقبض على الفدائين الذين كانوا ينفذون عمليات تخريب واغتيالات فى صفوف الانجليز لإجلائهم.

وللأسف هذه دائما الاستراتيجية التي يتبعها أي محتل حتى هذه اللحظة، فمعهد بأعمال التحكم القفرة لأناس من نفس البلد، يعرفون اللغة والقوانين والمناطق جيداً وينفذون لهم كل ما يريدونه في مقابل بعض المال والصلاحيات.

قال ”جمال الدين الأفغاني“: ”خائن الوطن هو من يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في أرض الوطن.“.

هناك القليل من الدراسات النفسية حول الدوافع التي تمهد شخصاً لخيانة وطنه، لكن أغبلها يتقد أن البداية تكون زلة، يغفرها الخائن لنفسه ويرى كونها الحل الوحيد لخروجة من ذاك المأزق الذي تكون نتاجاً من سوء

حتى أنت يابروتس!

تصرفة مع افعال الشخص الذى يريد تجنيده للعديد من المشاكل ليوقعه فيها، ف تكون مدخله للتهديد والوعيد.

ثم يقوم ذلك العدو المسؤول عن تجنيده بتوفير خلاص من تلك المشكلة التي كان له ضلعاً قوياً في جعلها تظهر في التوفيق والمكان المناسبين. وبذلك يصبح الخائن مسلسلاً بجنازير الإنتمان، إثم المشكلة التي دفنتها وإثم الخيانة الأولى. فببر لنفسه أنه تأخر كثيراً على الرجوع، وسرعان ما تعتاد نفسه على ما يوفره له العدو من متاع وترغيب. ويجعل العدو ما يتمناه الخائن كالجزرة أمام الحمار، فدائماً يمشي في الاتجاه الذي يريد؛ آملًا في الحصول عليها في نهاية المطاف.

لذلك أجد أن آلاف الشباب الذين يستمرون في البقاء في أوروبا بعد إنتهاء صلاحية الفرزا، هدفاً سهلاً لطعم العمل لدولة أجنبية، فهم لا يملكون إقامة ولا ترخيص للعمل، وأى احتكاك طفيف مع البوليس ستجعلهم عرضة للترحيل القسري.

وبما أن الخيانة الشخصية لا تأتي إلا من قريب، فإن خيانة البلد لا يمكن أن تأتي إلا من مواطنيها.

هناك قلة من الجواسيس لا يعتبرون أنفسهم خونة، لأن توجهاتهم القومية والفكرية مختلفة عن البلد الذي عاشوا فيه، يملكون جواز سفره، أو أصولهم ترجع إليه.

ومن أمثال هؤلاء "كيم فلبي" وهو أشهر جاسوس بريطاني آمن بالشيوعية السوفيتية، وقد كان عمله كضابطاً بالمخابرات البريطانية مفتاحه لتسريب العديد من المعلومات للاتحاد السوفيتي أثناء الحرب العالمية الثانية، لكونه مقتضاً أن الشيوعية هي مفاتيح رخاء العالم.

وبعد اكتشاف السلطات البريطانية أنه عميل مزدوج، انتقل للعيش في الاتحاد السوفيتي حتى توفى فيها عام ١٩٨٨.

أما يهود أمريكا وأوروبا، فإن ولائهم غالباً ما يرجع إلى إسرائيل، التي

يعتبرونها الدولة الأم.

وخير مثال على ذلك هو ”جوناثان بولارد“، وهو أمريكي يهودي، كان يعمل مُطلاًً استخباراتياً، وقد تم سجنه في أمريكا لمدة ٢٥ عاماً بتهمة نقل معلومات عالية السرية إلى إسرائيل. وقد اعتذر رئيس الوزراء الإسرائيلي ”شمعون بيريز“ عن تلك الحادثة بعد أن نفت إسرائيل علاقتها به لمدة عشر سنوات. ولم يتم ارجاعه إلى البلد الذي أعطى ولاءه إليها إلا في عام ٢٠٢٠.

كانت هناك تلك الجملة الإرشادية على جلد جميع كراسات مدرستي، أولها كان ”يابني.. إن حب الوطن يبدأ من الأسرة“.

كنت أرى هذه الجملة وأسخر من وجودها، فهو أمر مُسلم به، لا يحتاج إلى تذكير ولا تذكر. كنت أظن أنه شيء بداخلنا نولد به فطرياً، ارتبطانا به كارتباط الرضيع بأمه.

لكن اعتبارات الناس مختلفة، وتفكك الأسر وسوء أخلاق المجتمع أدى إلى تشويه كل القيم. فأصبح البعض يعتبرون أن الإنتماء أمراً مبالغ فيه، فكونه ولد في إطار جغرافي معين لا يعني أنه يشعر بارتباطه بهذا البلد.

لذلك قيلما تختار زوجة وأم لأطفالك، تذكر ألا تخونهم بسوء الاختيار، فهذا الاختيار يضع معايير التربية التي تجعلهم موحدين بالله، مخلصين لوطفهم، بارئين بك.

كيف تعطى ما لا تملك؟

فى قرية "سيشنې بازار" بولاية "هيرات" بأفغانستان، استغل تجار الأعضاء الفقر المدقع الذى ينهاش هذه القرية المظلوم أهلها، وغزروا بأكثر من ألف طفل وأمرأة ورجل فى أقل من ثلات سنوات لبيع كُلَّاهم، الكُلُّ الواحدة مقابل ٤٠٠٠ دولاراً.

أقنعواهم أن ذلك المبلغ سينهى بؤس العوز الذى لاينتهى. لكن كيف يمكنكم أن تثمن ما لا يُعرض؟

عندما أصدرت إحدى الصحف الأفغانية تحقيقاً صحفياً عن تلك الحادثة، أورد التحقيق الندم الشديد الذى انتاب كل من باع كليته؛ فكل ما تبقى لهم بعد إنتهاء تلك النقود هو المرض والوهن وعدم القدرة على ممارسة أبسط الأعمال التى اعتادوا القيام بها يومياً.

ما أستغربه حقاً إعتقد الكثيرين أن وجود كليتين فى جسم الإنسان كوجود الكاوتش الأستبن فى الصندوق الخلفي للسيارة، بينما تجدهم أقل تقبلاً لبيع فص من الكبد؛ اعتباراً منهم أن القيمة العددية هى معيار الاستغناء.

فحتى هذه اللحظة لا يوجد زرع كامل للعين - فقط القرنية أو عدسة العين - وذلك لارتباط العصب البصري بالمخ.

لكن إذا تصورنا مجازاً إمكانية ذلك، لن يقبل أحد على الاستغناء عن إحدى عينيه لوجود الأخرى!

ربما لأنه يعى أن عدم وجود عين هو فقدان لنصف المجال البصري وعدم تقدير المسافات والأبعاد، أو ربما لأن العين تُشكل لوحة فى وجه كل منا، أو لعل الناس ستتعجب عليه فعلته فلن يستطيع أن يداريها، فليست كبساطة آثارخياطة جراحية طولية تقع تحت ملابسه تذكره هو وحده عندما ينفرد بنفسه أنه تصرف فىأمانة الله له دون إستئذان.. وأن كل جوارحنا وأعضائنا

هي هبة من الله تعالى يستردها عند خروج الروح.

أتذكر فيلم "الحقونا" الذي مثل فيه "نور الشريف" دور "قرشى" بطل الفيلم الذي قام أحد رجال الأعمال بسرقة كلية، وبعد العديد من المحاولات لإثبات حقه قانونياً، سأله القاضى كم تريد لشقط التهم؟ رد "قرشى": "لا أريد مالاً، فقط أريد ما سُرق مني"!

عندما حاولت تحليل تلك الشخصية المكتوبة رأيت أنها مستوحاة بشكل ما أو بأخر من قصص واقعية نقرأ عنها مجدداً حتى وقتنا هذا في الكثير من القضايا الاجتماعية التي تُظهر الجانب المظلم من المال والطب والمرض.

بينما كان رد القاضى له أن طلبه مستحيلاً، كان نظرياً - فى رأىي - معقولاً جدًّا!

لكن هل كانا الإصرار والغل اللذان دفعاه لتلك المحاكمة أنه سُرق أى لم تتوفر له رفاهية الرفض والقبول؟

ماذا وإن اختار القبول، سيظل له الحق في تقرير الوقت والمقابل المادى للذين يعتبرهما مقبولين.

أرجعتى ذاكرتى إلى تذكر أحد أصدقائى، وكيف كانت والدته تعانى من فشل كلى، وكيف أنها ذهبت إلى الهند لعمل عملية زرع كلى. كنت معه عندما طمأنته أخته تليفونياً على سلامتها والدتها، كم كان قلقاً عليها من الجراحة ومن مضاعفات الدواء الكيموى على صحتها، كم كان مفلساً بعد أن شارك مع والدته بكل ما لديه لمساعدتها في تكفة هذه العملية.

ووجدت نفسى أتخيل والدتها في نفس الحالة، كم كنت سأسعى لإيجاد متبرع يتوافق معها.. كم كنت سأدفع لإنقاذ أهم إنسانة في حياتي؟

أثناء دراستي الجامعية كنت أتبиру بالدم بانتظام، وفي إحدى المرات سألت والدى قائلاً: "هل تسجلين تلك التبرعات في كارت التبرع بالدم خاصتك؟"

وكان يقصد به "Blood Donor Card" الذي يُسجل به عدد وتاريخ

كيف تعطى ما لا تملك؟

الترعات، كما يعطى لك ولأقربائك الأولوية عند الحاجة للحصول على نفس عدد أكياس الدم التي تبرعت بها. بالطبع حتى بعد مرور خمسة عشرة عاماً لم يُطبق بعد هذا النظام العادل.

بعد تخرجي وتعاملي مع بنوك الدم المتفرقة، رأيت كم المهازل والتحكمات والمحسوبيات بها، وأستشعرت كم التقل الذي يكون على كل مريض يحتاج للجراحة لإحضار سبع إلى عشر متبرعين بالدم قبل إجراء الجراحة.

وفي كل مرة أحتاج أقرب الأقربين لى عمل عملية جراحية وطالبت المستشفى بتوفير متبرعين بالدم، شعرت بذلك الاندهاش الذي كنت أراه في أعين المرضى أمام أبواب بنوك الدم المختلفة، فكيف لى أن أجد تسعة متبرعين آخرين غيري؟

في أمريكا يقومون بالأمر بشكل مختلف تماماً، فهناك من يستطيع تسجيل نفسه في بنك التبرع بأعضائه بعد وفاته، وبانتهاء حياته يكون أعطى فرص جديدة للحياة لأشخاص آخرين أوشك المرض على إنهاء حياتهم.

ولكن ليست كل الصورة بهذه الإنسانية أيضاً، فسوق تجارة البلازما - وهي المكون الأساسي للدم - يُقدر بحوالي ٢,٧ مليار دولاراً.

وبنوك تجميع البلازما موزعة عن عمد في الولايات الأكثر فقرًا، حيث يعرضون على كل شخص يأتي ليتبرع -أقصد لبيع- كيساً من البلازما خمسين دولاراً في المرة.

ولأنهم يملكون ماكينات لأخذ البلازما مباشرة من المتبرع -على النقيض عندما نحتاج لأخذ الدم كله ثم فصل البلازما لاحقاً- ف Bernstein يستطيع الشخص التبرع بالبلازما مرتان أسبوعياً ليزداد دخله السنوي ستة آلاف دولاراً.

ستدافع شركات الأدوية عن حقها بشراء البلازما المليئة بالأجسام المضادة التي تتطور منها عقارات جديدة تدر عليها المليارات، وسيدافع الأشخاص الذين يقبضون مالاً مقابل ترددتهم على تلك البنوك بأنهم يحتاجونه لشراء بعض اللحم الذي يحتوى على البروتينات وهي المكون الرئيسي للبلازما التي

كيف تعطى ما لا تملك؟

يبعونها!

كيف تعطى ما لا تملك؟ وما الذى يحدد ملكيتك لما تمنحه؟ وكيف أصبح العلم والطب والمرض متشابكين مع الفساد والسوق السوداء والاتجار بالبشر؟ هذا التشابك المريع الذى يلوث معاناة المرضى بمال ملطخ بالجهل والقتل والاستغلال.

نَحْنُ نَعْرِفُ مَا تَرِيدُ

الحقيقة أنتى تربيت منذ نعومة أظافرى ألا أńبهر بشئ، خاصة ما يبهر الناس، وأن أفكر بعقلى قبل جوارحي.

فهناك الكثير من الحلوي التي قد تبدو مثالية، لكن طعمها سيء للغاية.. يكفى أن تأخذ صورة سيلفى بجانبها، لكن سرعان ما ستتركها عند أول فضمه.

فى علم النفس التجارى، شخصنة المنتج يجعلك أكثر تعليقاً به، فيوهمك أنه قد صنع خصيصاً لك.

فمثلاً فى إحصائيات المبيعات لشركة "ستارباكس" ، قد أثبتت هذه النظرية، فكتابة اسمك على الكوب الكرتونى لنوع القهوة التي طلبتها، قد جعلت الزائنان يشعرون بأن هذا المقهى مقرباً لهم، فأصبح محفزاً لاختياره عن بدائله بغض النظر عن عاملى الطعم والسعر.

تقوم كل شركة بتحديد الجمهور المستهدف من كل منتج تقدمه، فتقسم الزائنان إلى شرائح اجتماعية و عمرية واقتصادية.

فعندما تتبعض تجد نفس المنتج بأحجام مختلفة، وربما بدرجات متباعدة من الجودة أيضاً، بحيث يتم تحقيق الاستفادة التامة من قدرة كل شريحة على الإنفاق.

وفي كتاب "Predictably Irrational" "أى غير المنطقى المتوقع" قام "دان أرئيلى" وهو أمريكي يهودى، وباحثاً فى علم السلوك والاقتصاد السلوکي في جامعة "ديوك" ، بعمل دراسات مفصلة لكيفية تقبلنا للمنتجات، وقدرة الشركات والإعلانات على حثنا على شراء ما نحن لسنا بحاجة إليه، وقد وجد أن نقرة واحدة على إعلان ما، يصنف مدى تفضيلك لمنتجات معينة، ويجعلك فريسة للإلحاح عليك بتكرارها وفي إطار الميزانية التي

تحددوا، وهو ما يُسمى بـ "المسلمة العامة للتفضيل الظاهري" أو

"GARP= Generalized Axiom of Revealed Preference"

كما أن الترتيب المتعارف على المنتجات الباهظة الثمن في المقدمة، يهيئ عقلك للإنفاق على ما هو أقل سعراً، فنخدع عقلك أنك قد قمت بإنفاق القليل، رغم أنك لو كنت وجدت هذا الثمن أولاً ما كنت اشتريت.

وهذا ما تجده فعلياً في عدد من الأوكازيونات، فإن كنت من ذوي الذاكرة القوية، لاستطعت تذكر أن بعض المحلات تقوم بتحديد السعر المبدئي قبل الأوكازيون بما هو أكثر من القيمة التي يستحقها المنتج، ثم تقدمه لك بسعره الأصلي كما لو كانت تقوم بعمل معروفاً لمزاينتك!

ومع انتشار استخدام كروت الدفع المسبق، أصبح الناس أكثر إنفاقاً؛ لأن عقولهم قد اعتادت على إعطاء القيمة للفقد الورقي، فكل ورقة نقدية تسلمها للناجر تترجم في نفسك بحسبها من مرتبك الشهري.

أما كروت الائتمان استطاعت قتل هذا الرابط، فعدة مئات، كعدهآلاف، كل القيم يمثلها كارت واحد، وهاهي معاييرك في تيه.

وإذا لم تستطع إيجاد ذلك الرابط ثانية بتذكرة نفسك بالقيمة الفعلية لكل ما تشتريه، ستجد دينونا متراكمة عليك كل شهر.

وهذا بالضبط ما أدى للفح الاستهلاكي الذي وقع فيه معظم الشعب الأمريكي.

وقد يكون هذا المنتج أو ذاك به عشرة إعدادات، لكن ما مستخدمه حقاً هو ثلاثة إعدادات، وبذلك فإن شراء قيمة باقي الإعدادات لن تضيف شيئاً إلى حياتي. وذلك هو ما يراهن عليه مسوق الإصدارات الجديدة من أي برنامج، لعبة، هاتف أو سيارة.. فقط خاصية جديدة باسم جيد لهذا العام، فجعل المقارنة بين الإصدارين محسومة، بجعل الإصدار القديم غير مناسب للحياة، ويوجد الحاجة الملحة في شيء تستطيع الاستغناء عنه تماماً!

إذا كنت تريد تقييم ما تريده شرائه حقاً، عليك الإجابة عن سؤال واحد، هل

هذا الشئ سيؤدى وظيفة فعلية لك أم لا؟

ولريما اعتدنا على الاستهلاكية المفرطة، لكن قبل تطبيق الرأسمالية كاتجاه موحد في العالم ككل - خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى - كانت الشعوب أكثر بساطة، والفرق ذات الاجتماعية تحترم الطبقة الوسطى، فكان الناس من هذه الطبقة شبه سواسية، يتراحمون ولا يتناقدون.

أما الآن خاصة بعد ظهور تلفزيون الواقع والبلوجرز والانفلوينزرز، أصبح التقليد الأعمى لإناس قد يكونون غير مؤهلين بالمرة لتقليدتهم - هم الأساس لوضع معايير الجمال والنجاح والصحة والسفر والطعام.

فتجد ملابس من المتابعين والمعجبين الذين يشترون ما يوصى به هؤلاء الخبراء المزيفون ، مقتنيين سذجاً وسلفاً أنها الأجدد فقط، بالرغم من وضوح أنهم يتذبذبون وبنفسهم من هذه الاقتراحات المصورة، بأخذ نسب من المبيعات من الشركة المعلنة.

وقد قام البروفسور "Robert Cialdini" الأستاذ بقسم السيكولوجى والتسويق بجامعة "أريزونا" الأمريكية بإطلاق مصطلح "Social proof" لتفسير هذه النقطة التي تأتى من دون سبب مقنع.

وهو ناتج عن عدم تأكيد الشخص من كيفية التصرف، فأخذ بمثل أن تسأل مجرياً ولا تسأل طيباً، باعتبار أن ما يختاره أغلب الناس هو الأكثر رواجاً لصحته.

وحتى لا نأخذ العاطل بالباطل، فقليل من هم حقاً يعبرون عن رأيهم الشخصى وتجربتهم الحقيقية فى أمر ما، دون أدنى مؤثرات خارجية أو اعتبارات تكسيبة.

وإذا كنت تتسائل لماذا تستحضر بعض الشركات العالمية ممثلين ومتخصصين ولاعبى كرة قدم؛ ليأخذوا ملابس الدولارات فى إعلان مدته دقيقة واحدة فذلك إنما لمبدأ "Likability" أي استجابة الناس لمن يعجبون به.

ويحضرنى هنا موقف لاعب الكرة الأسطوري "بيليه" عندما أخذ مائة وعشرين ألف دولاراً أمريكياً عام ١٩٧٠ أي ما يعادل ثمانمائة ألفاً فى وقتنا

الحالى؛ فقط لتصوره الكاميرا وهو يربط حذائه "البوما". وللتأكيد على أنه كان استثماراً فى محله، فقد ازدادت مبيعات الشركة فى تلك السنة !٪٣٠٠

هناك أيضاً نموذج "Freemium" وهو أن توفر المنتج بكل خصائصه للمستهلك بدون مقابل لفترة محددة، بحيث يجعله يستمتع بما سيكتبه فى مدة قصيرة، بعد هذه الفترة لن تتوفر أي من هذه الخصائص إلا باشتراك مدفوع.

وهو نموذج ناجح للغاية، وتقسيمه فى مبدأ "Reciprocity" أي "التبادلية"، وفهـ تقوم الشركة بإعطائك هدية، فتشعر بأنك ملزماً بالرد وتتجدد الاشتراك مع دفع المبلغ المطلوب شهرياً.

حاولت اليونتيوب أن تفعل معى هذا النموذج، وتكرره على مرة تلو الأخرى، شهراً بعد شهراً، لكننى لم آخذ هديتهم، حرصاً ألا ينخدع عقلى كمن انتقدهم. والآن أجد إعلانات مستقرفة للغاية، لترغمنى في لحظة غضب على قبول هديتهم.

لكن قرأتى في تلك الألعاب النفسية، جعلتى أكثر تحدياً لها.

أما عنى، فأنى أعتبر الموضة زياً موحداً، فأرى كل الفتيات يتشاربـن فلا أفرق بينهن، وأرى الفتية يقلدون قصة الشعر ووشـ مغنى ما، فأأشعر أنهم أصبحوا عملاً بمنجم فحم، وقد أعطى لهم التراب المنتشر تلك الألوان المثيرة للاشمئزاز.

الغريب عندما تتحدث مع أحدهم تجده معترضاً حانقاً على المجتمع، ويعتبر ما يفعله يكسبه حرية ويعلنـ إنقلاباً على التقاليـد.

لكن ما يفعلونه حقاً هو تحويل الفعل النادر إلى ترند، وبذلك يتحول المجتمع كله إلى نسخ مكررة مملة.

فأين الحرية في الامتثال للقطيع؟

لا أستثنى نفسي، بالطبع أنا أثر وأشعر بتفضيل لبعض الماركات، لكن أستخدم ما أجده مناسباً لـي.

نحن نعرف ما تزيد

فقد تكون ألوان هذا الشتاء لا تناسبنى، وقد أجرب منتجًا جديدا وأجده ربيئا.

لكن ما يجعلنى أحترم اختياراتى أنها غير مطبوعة فى كتالوج تم توزيعه على الجميع، فأنا أخرج كتالوجى الخاص.

سارقو الإنسانية

كان ”برنارد شو“ رجلاً ذو رؤية تاريخية ومستقبلية في آن واحد، ومن أشهر مقولاته التي نستطيع تطبيقها على جميع الأوضاع الحالية: ”لحيتي كثيفة ورأسي أصلع كالاقتصاد العالمي، غزارة في الإنتاج وسوء في التوزيع.“

وقد كان محقاً، فعندما كنت أرى تلك الإعلانات عن المنظمات الإنسانية كـ ”منظمة الصحة العالمية“ و ”اليونيسيف“ يقوم بها ممثلو أوسكار ومحظوظون عالموتون، كنت لساجتى أقدر ذلك الجهد ولم اتخيل بأى حال من الأحوال أن يأخذ أى منهم مقابل مادى.. لكنى فوجئت أن هناك ما يقرب من سبعة مليارات دولارا يتم إنفاقها على الحملات الدعائية.. سبعة مليارات لتقول لباقي العالم أنك مهتما بالمجتمعات.. لماذا لا يذهب نصف ذلك المبلغ لهؤلاء المشردين الجوعى؟ بالطبع لأن لا توجد النية لذلك، فكلها شعارات وإخراج سينمائى شديد الحبكة لمشهد قد يبدو إنسانى، لكن فى باطنھ استعراضى ليس أكثر ولا أقل.

فى واقع الأمر قام أحد موظفى الأمم المتحدة فى عام ٢٠١٨ - بعد استيقاظ ضمیره واستحضار شجاعته- بالإبلاغ للصحافة العالمية عن أكثر من ستين ألف حالة اغتصاب أطفال من قبل من يعملون بمنظمة الأمم المتحدة على مدار عقد كامل من الزمان، ناهيك عن ما لم يتم التبليغ عنه بشكل رسمي. الأكثر غرابة أن لا أحد من هؤلاء قد تمت محاسبته أو فصله على الأقل والأسوأ من ذلك - كما أوضح - أن هناك أكثر من ثلاثة آلاف وثلاثمائة موظف من مختصى الأطفال ما زالوا حتى الآن يعملون فى الأمم المتحدة!!

تخيل أن كل من هؤلاء الأطفال كان يحلم بحلم الشاعر ”محمد درويش“ في قوله: ”إنى أحلم بالزنابق البيضاء، بشارع مفرد ومنزلٍ مضاء.. أريد قلباً طيباً، لاحشو بندقية.. أريد يوماً مسمساً، لا لحظة انتصار مجنونة فاشية..“ ثم يزداد الطين بلة على هذا الطفل من قبل من وثق فهم أن يخففوا عنه

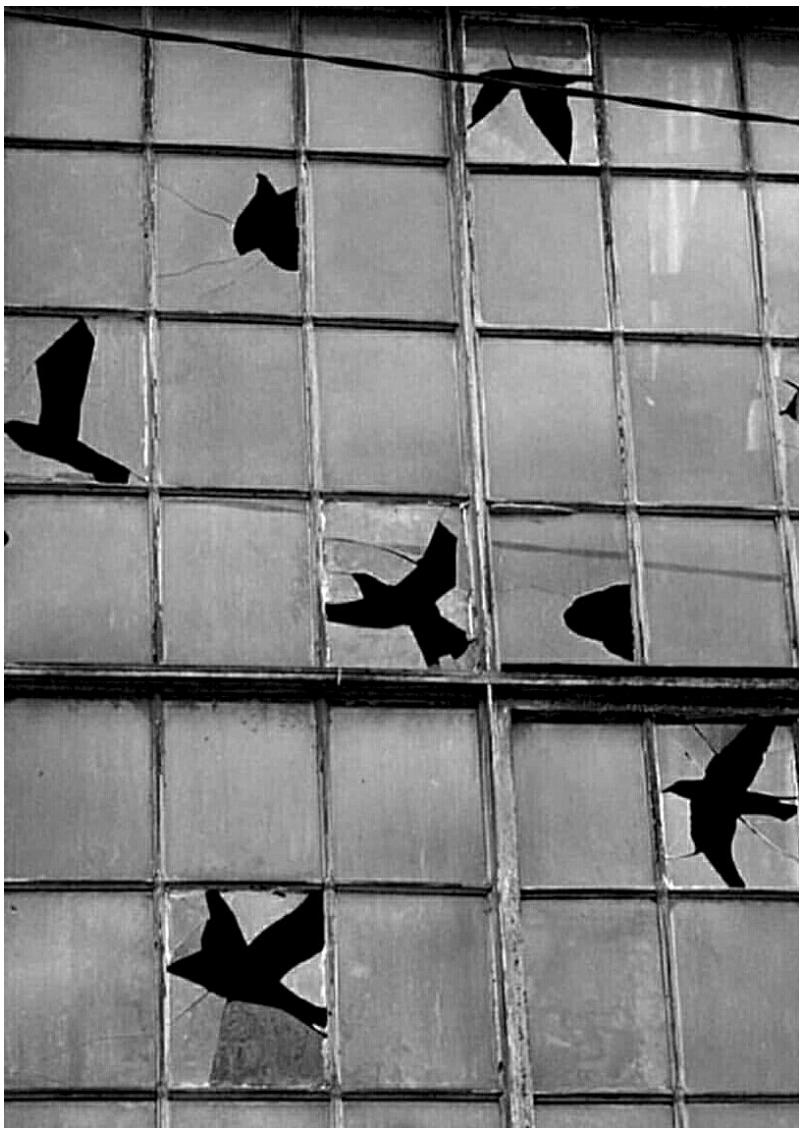
ويحترموا ضعفه واستكانته واحتياجه لهم، ولكنهم يقابلون تلك الثقة بجعله يمر بأسوأ ما يمكن لبشر أن يمر به مجتمعاً.

في إبريل عام ١٩٩٣، أعلنت الأمم المتحدة بلدة "سربرنيتسا" بشمال البوسنة منطقة آمنة تحت حمايتها وكانت كتيبة الأمم المتحدة آن ذاك من هولندا وعددها يقارب أربعين جندي، وعلى هذا الأساس سلم أهل البلدة البوسنيون أسلحتهم لكتيبة الأمم المتحدة.

لكنهم خانوا ثقة أهل هذه البلدة المiskينة وسمحوا بالجيش الصربى بدخول البلدة مسلحين، حيث قام الجيش الصربى بقيادة الجنرال "رادوفان كاراديتش" بفصل أهل البلدة إلى مجموعتين الأولى من الأطفال والنساء والشيخ، والثانية من الذكور من سن الرابعة عشر حتى الخمسين، حيث تخلصوا من المجموعة الثانية عن بكرة أبيها وأسفر ذلك عن قتل أكثر من ثمانية آلاف أخاً وأباً وزوجاً، ودفنهم في مقابر جماعية، وبالطبع قاموا بالترفة عن أنفسهم باغتصاب النساء النُّكلِّيَّة.

كل ذلك حدث على مرأى من كتيبة الأمم المتحدة التي لم تحرك ساكناً.. لم يتم محاسبة أي من عناصر الكتيبة، بينما حكمت المحكمة الدولية على "كاراديتش" في ٢٠١٦ بالحكم أربعين عاماً وقد تم تخفيف الحكم في ٢٠١٩ إلى خمسة وعشرين عاماً فقط.

كل ذلك التسيب في العدالة والإنسانية ثم يعتبرون أنفسهم آلله العدل والبراءة وهم حقاً غاصبو الحقوق والأنفس والشرف!!



من أعمال الفنان الأسباني ”بيجاك“ المعروف عنه تحويل واجهات
الشوارع إلى قطع فنية فريدة

سجن كبير

كم أكره المترو كثيراً، هذا الصندوق الطويل الذى يبدو كمتوازى مستطيلات لا نهاية له، مدفون تحت الأرض يمنعني من تتبع السحاب الذى يرافقنى فى كل تنقلاتي.. أحatar كثيراً قبل أن أجأ لأخذه عندما يحتمل الوقت على موعد ما، هل على أن اتصارع مع باقى ديدان الأرض؟ هل على أن أترك رحابة السماء لأجل اختصار تلك الخنادق التحت أرضية؟ ثم أتخلص من ذلك العتب الذى أحذث به نفسي على تأخرى وأعاقبها بأخذه.. أصل فى موعدى ولكننى قد سُجنت فى المقابل لبعض دقائق.

يدهشنى الناس كثيراً عندما يجرون على سلام المترو ليلحقو بأول قطار، ويتأنفون لانتظار القطار القادم الذى يفصل بينهما أقل من خمس دقائق.. ثرى هل يقررون ما يهدرونه من حياتهم بين إشارات المرور وإعلانات التلفاز وتقليعات الفس بوك حتى تصبح تلك الدقائق بتلك الأهمية؟ أم يجرون بتلك السرعة لمحاولة الإفلال مما يخسرون من حياتهم كل يوم؟

فى عام ٢٠١٠ تم إنشاء ثانى أكبر سجن فى النرويج، وهو يُسمى "Halden Prison" وقد تم تصميمه لجعله أكثر إنسانية.. فمفهوم العقاب في هذا السجن هو عدم توفر حرية الخروج إلى العالم الخارجى، وليس قبح المنظر وإساءة المعاملة.

إذا تفقدت صور هذا الذى يدعوه سجنا، سترى إنه يبدو كفندق، فهو يطل على مساحات خضراء ويوجد نوافذ فى كل الحجرات بالإضافة إلى كل الأنشطة الداخلية والخارجية التى تتصورها، فمساحة هذا المبنى حوالي ٧٥ هكتارا ويستوعب ٢٥٢ سجينًا فقط.

وإذا أردت استعياب مدى إنسانية هذا السجن، تستطيع مقارنته بأحد سجون أمريكا كسجن "Rikers Island" وهو بولاية "نيويورك" وتبعد مساحته ٤ هكتارا ويستوعب خمسة عشر ألف مسجوناً!

سجن كبير

أفكر في عدد السنتيمترات التي يمكن أن تحفظ لى إنسانيتي فلا أستطيع الجلوس حتى وإن تواجدت تلك الفرصة النادرة، فنداي تستند على باب عريته حتى أصل أخيراً إلى محطة وأترك ذلك التكدس السكاني المحدود في تلك العربية المعدنية الصماء.. أخرج أخيراً وانتفس الهواء حتى وإن كان معبأ بالتراب وأرى ذلك اللون السماوي من حولي، فتنسيني حماقة آلات التبيه والازدحامات المرورية غير المبررة.

عندما شاهدت فلم "Casper" لأول مرة في صغرى، شعرت بالأسى تجاهه، ذلك الصبي الصغير الذي تعرض لحادث فتوفى ولكن تبقى طيفه يحوم.

كل ما كان يتمناه أن يرجع لجسمه الصغير مرة أخرى، فراره الناس وسيستطيع التحدث لهم والتعامل معهم.

الآنأشعر بالأسى تجاهه مرة أخرى، لكن هذه المرة لأنه لم يقدر يوماً كم كان حراً، فلا أحد يوقف الطيور على اعتاب المؤسسات لنُظهر إثبات شخصية، أو يمنع طيارتها على الحدود السياسية للبلاد التي تدخلها دون فزنا، أو يمنع مكوثها دون التقديم على الجنسية.. أشعر أن هذه الحياة ما هي إلا سجن كبير، مهما فعلت وأينما ذهبت فأنت مقيد بشكل ما أو آخر.

كل ما أريده الآن أن أتحرر من ذلك القيد الاجتماعي وهذا الجسد الفاني وأصبح طيفاً حراً يسبح بين المروج ويخترق السحاب.. أن أستطيع سماع خرير الماء عبر الشلالات واستنشاق الياسمين واللعل في حقول التبوليب..

كم أتمنى التخلص من هذا السجن المقيد دون أسوار.. هو فقط موجود طالما أنا هنا!

ظلم العباءقة

تخيلت عندما يكون الإنسان عبرياً في مجال ما وأصبح اسمه متوجاً بين عظماء التاريخ، سيتوفر له الحق بالاستمتاع بكونه مميزاً ومختلفاً. لكن عندما قرأت عن "تسلا"، "نيتشه"، "فيفالدى" و"فان جوخ"، علمت كم اليأس الهائل الذي ابتلع حياتهم، فلم يقدّرهم أحد وتم الاستهانة بأفكارهم ومشاعرهم ومحاولاتهم. ولم يتم تتوبيح أسمائهم إلا بعد وفاتهم، بل وكانت أغلب فترات حياتهم في وحدة وعزلة ونفاق وبعضاً الأحياناً تم اتهامهم بالجنون.

هاجر "تسلا" من التشيك إلى أمريكا، وهناك نجح في تحقيق مشروعه في توليد الكهرباء من انبعاث شلالات "نيagara" والتي حتى هذه اللحظة تُعد من أفضل مشاريع توليد الطاقة الكهربائية في العالم.

لكن بعدها رفضوا تمويل باقي أبحاثه والتي كانت ما بين الاتصالات اللاسلكية وأجهزة التحكم عن بعد وطاقة الليزر، وقد كانت اختراعاته نواة لتقنية الواي فاي. لكن الحكومة الأمريكية سرقت هذه الأبحاث بعد موته معذماً فيرياً في فندق معتم.

وإذا كنت تظن مثلـي أن "توماس إديسون" هو مخترع المصباح الكهربائي فـجـيـعـنـاـ مـخـطـئـونـ لأنـ التـارـيخـ قدـ رـوـرـ والـحـقـيقـةـ أنـ "إـديـسـونـ" سـرـقـ هـذـهـ الفـكـرـةـ أثناء حـيـاةـ "تسـلاـ"ـ،ـ لمـ يـأـهـبـهـ "تسـلاـ"ـ لـذـلـكـ قالـ جـملـتـهـ الشـهـيرـةـ:

"لا أهتم بسرقة أفكارى، ولكن أشفق عليهم أنهم لا يملكون أفكاراً تخصـهمـ".

بل الواقع أن "إديسون" لم يكن مخترعاً بالمعنى الحقيقي ولكنـهـ كانـ رـجـلـ أعمالـ نـاجـحاـ جـداـ،ـ كانـ يـمـلـكـ ماـ يـتـطـلـبـهـ الأـمـرـ منـ خـدـاعـ الإـعـلامـ وـالـتـموـيلـ الكـافـىـ لـجـلـبـ العـدـيدـ مـنـ الـعـلـمـاءـ لـمسـاعـتـهـ لـنـطـوـيرـ اـخـتـرـاعـ "تسـلاـ"ـ.

تخيل أن "إديسون" قام بدعوة الصحفيين وعرض عليهم النموذج المبدئي

وعندما سأله أحدهم إلى متى يستمر هذا المصباح في الإضاءة، رد عليه “إديسون” للأبد، بينما أنهى العرض سريعاً قبل أن ينطفئ المصباح.

وأخذ منه الأمر عشر سنوات وعشرين العلماء ليصل للجودة المطلوبة وبعدها تربح ملايين الدولارات من بيع هذا المنتج. وبالطبع لم يُشرك “تسلا” في أى من هذا. وحتى الآن فإن البنية التحتية لشبكات الكهرباء في أمريكا تستخدم التيار المتردد الذي اخترعه “تسلا” ولا تستخدم التيار المستمر الذي دافع عنه “إديسون” بشراسة!

اتهمت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ”جاليليو“ بالهرطقة في القرن السادس عشر لأنه أصدر كتاباً يثبت فيه أن الأرض والكواكب تدور حول الشمس، بينما كانت تعتقد الكنيسة في مركزية الأرض.

وقد أدى ذلك لمنعه من التدريس كأستاذ جامعي وعزله اجتماعياً ووضعه تحت الإقامة الجبرية. وقد احتجت الكنيسة الكاثوليكية قرناً من الزمن لرفع الحظر عن أعماله، ولم تقدم اعتذاراً رسمياً لسوء معاملتها له إلا في عام ١٩٨٣.

لا أفهم تحديداً كيف ربطوا وقتها الكاثوليكية بمركزية الأرض، فقد كان ”أرسطو“ هو من كتب عن تلك النظرية قبل أربعة قرون من ميلاد المسيح!

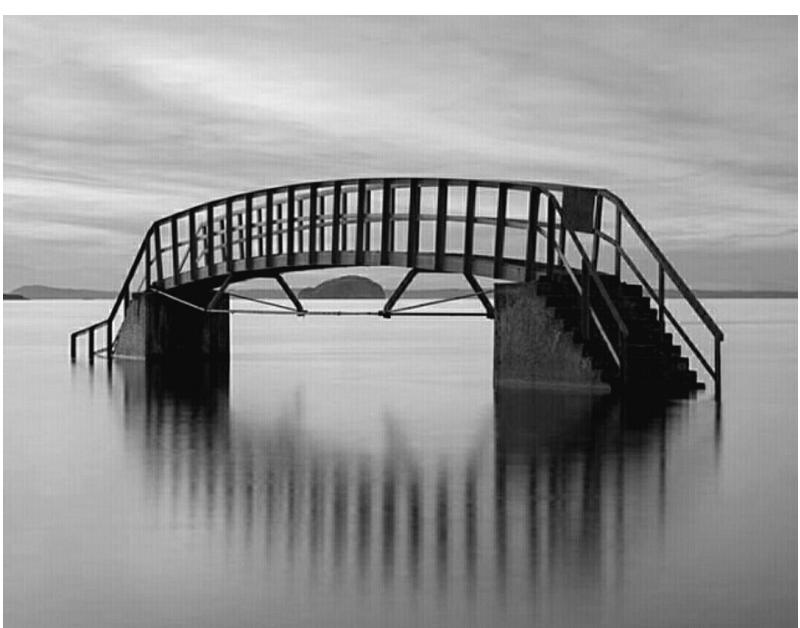
وبالمثل حدث مع ”فان جوخ“، فلم يكتثر أحد رسوماته الغربية التي كان يرسم فيها حجرته ونفسه. كان يعيش في فقر مدقع، ولكن لم يمنعه ذلك من الشعور بالحب تجاه إحدى الفتيات. فكر كثيراً ماذما يهدبها معبراً لها عن حبه وهو لا يملك شيئاً، فقرر قطع أذنه واعطاها إياها! بالطبع عندما رأتها، شعرت بالقرف الشديد وابتعدت عنه نهائياً.

ولذلك أشتهر عن بورتراته لنفسه بأنه كان يرسم قطعة من القماش حول أذنه المقطوعة.

لا أعرف لماذا لم يفكر في إهادئها وردة أو إحدى رسوماته والتي أصبحت ثياب الواحدة منها في عصرنا هذا بثلاثة ملايين دولار!

ظلم العباقة

لا أعرف أيهما أسوأ.. أن تكون فعلاً لا شيء أم أن تكون عقيرياً ولا يعترف أحد بذلك إلا بعد مماتك بقرون!!



جسر ”بيلهافن“ بـ ”اسكتلندا“ الجسر الذى لا يؤدى الى أى مكان

سلام.. على المنطق

هل اجتماع الناس على شيء يبرهن صحته؟ بالطبع لا.. لكن هذا لا يعني إلا تحاط في كيفية وتوقيت اعترافك، فمهما كان أفكارهم غبية، مازالوا أغلبية.

قد قال ”سقراط“: ”ويل لرجل عقله سبق زمانه“، وهذا عندما حكموا عليه في عام ٣٩٩ قبل الميلاد بشرب السم، وهذا لأن أفكاره تعارضت مع النخبة السياسية الحاكمة لأنثينا في حينها، وقد رأوا أنه يهدد من استقرار البلاد التي كانت قد هُرمت مسبقاً من أسبارطة؛ متاجهelin نصيحته أن يستفقو من غيبتهم ويتعلموا من أخطائهم التي أدت إلى تلك الهزيمة النكراء. لكن هل تساءلت لماذا قد يرفض أحدهم التفكير في أمر ما يحتوى الكثير من المنطق والدلائل ثم يصر على ما يفعله إصراراً فجأةً، مخالفًا حدود العقلانية؟ وتجسد أمامك تلك العقلية القبلية التي كانت تبرر وأد البنات وسرقة القوافل التجارية!

هناك ما يُسمى ”Cognitive Dissonance“ أي ”التناقض المعرفي“ وهو ذلك الضيق والاعتلال النفسي اللذان يطردان بسبب ما تجده معارضًا لأفكارك وقيمك وما اعتدت اعتباره صحيحاً.

وقد وضع هذه النظرية في عام ١٩٥٧ العالم ”ليون فستجر“ وهي في نظرى من أكثر نظريات السلوك عصرية؛ حيث أنها تخف عنك ذلك الخذلان الشنيع الذى تجده أمام تلك العقليات المتحجرة.

هؤلاء الذين يشعرون بذلك التناقض المعرفي يميلون إلى تجنبه، إما بتجنب الشخص الذى يثير ذلك التناقض أو بخلق استدلالات تبرر تجاهلهم لنتائج الحقائق.. بالضبط كما خاطب سيدنا ”إبراهيم“ قوله عندما عاتبوه على هدم أصنامهم، قال تعالى فى سورة ”الأنبياء“: ”قَالَ بْلَ فَعَلَهُ كَيْرُهُمْ هَذَا فَأَسْأَلُهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ“^(٦٢).

وبذلك أرادوا حرقه ليتخلصوا من تلك الصدمة المعرفية التي أثارها بأسلوبه المنطقي، ثم أوجدوا استدلال على صحة موقفهم بأنهم يعبدون - مثل آبائهم وعشيرتهم - تلك الأصنام التي وفرت لهم الاستقرار ورغد العيش.

وهنا نأتي إلى رد فعل سيء للغاية يستطيع قلب الطاولة عليك إذ لم تكن متوقعاً ومستعداً لذلك الهجوم وهو "Confirmation Bias" أي التحيز في اختيار ما يتوافق مع ما تزيد تأكيده، متاجهلاً باقى العوامل التي قد تؤثر تأثيراً جوهرياً على اتخاذ القرار الأخير.

لذلك من السهل جدّاً إفحام شخصٍ ما إذا لم يكن على دراية معينة بالموضوع الذي تناقشـه فيه.

لكن حتى وإن كنت على حق وتحاور شخصاً على علم كافٍ للمجادلة فسيهزمك إن لم تكن جاهزاً لتبديد أدلة المفتعلة، وأعتقد أن هذا الأمر تستطيع تطبيقه على سياسات دول، كما أستطاعت أمريكا إقناع العالم إنها مستهدفة دائماً فأوجدت بعد تخطيط المخابرات الأمريكية لتفجير البرجين، مبرراً لغزو العراق وأفغانستان.. وها نحن بعد خمسة عشر عاماً من دخول البلدين، اتضح أنه تم تلقيق أدلة الأسلحة النووية للعراق، وأن أفغانستان أكبر مورد للأفغون في العالم وحتى لأمريكا نفسها.. ثم يخرج المتحدث الرسمي لهم بكل بجاحة وثبات معناً إنجازات بلده في غزو هذين البلدين، مُسقطاً من حساباته كم الفساد وتدمير البنية التحتية والفقـر والديون الناتجين عن إرساء بلده المصون للديمقراطية!!

علامة الرضا

كنت في المرحلة الابتدائية ندرس قصة في مادة اللغة العربية تحكي عن قدم علاء الدين لطلب يد الأميرة، وعندما سألها أبوها السلطان عن رأيها.. صمتت.

فسألني المدرس "ماذا يعني ذلك؟"
قلت له: "لقد صمتت، يعني إنها تحتاج لنفكر قبل أن تنطق بما أخذته من قرار"

رد المدرس: "ماذا تقولين؟ الصمت يعني الموافقة، وأنتن أيها الفتيات تصبحن صامتات عندما تشعرن بالخجل.. فالسکوت علامة الرضا".

فردلت عليه: "أستطيع أن أتكلم أيضاً وأناأشعر بالخجل.. فالصمت قد يعني الكثير من الأشياء لكنه لا يعني أن ما يحدث مرضياً".

رد وهو يغلق النقاش: "هذا ما تعنيه القصة، وهذا ما يجب أن تعرفه!"

رغم مرور أكثر من عشرين عاماً على ذلك الموقف، لكن هذا المدرس يجسد واقع المجتمع الذي نعيش فيه حتى الآن، فما زال الناس يظنون أننا عندما نصمت يعني أننا لا يوجد لدينا شيئاً لقوله. لكن الحقيقة أن كل شخص في هذه الدنيا لديه الكثير ليبيوح به سواء بالسلب أو بالإيجاب.

فالصمت قد يعني السلبية التامة، الاستسلام لما يفرضه الواقع أو الاعتياد حتى وإن كان خطأ بكل المقاييس.

قال "جولييان أسانج": "كل مرة نرى فيها الظلم ولا نحرك ساكناً، ندرب أنفسنا على الخضوع في حضرة الظلم، ونخسر كل قدراتنا للدفاع عن أنفسنا وعن من نحب".

ذلك الاتصرف الذى يعتري الناس يجعل منهم فريسة سهلة للانقياد من أى

شخص قادر على التحكم بزمام الأمور، حتى وإن كان بطجيًا يفرض إتاوة، أو كان شخصاً أخذ قطعة أرض بوضع اليد.. والناس يرضخون بشكل ما أو بأخر.

أو كما قال “توماس جيفرسون” : ”كل متطلبات الطغاة هي الحصول على موظئ قدم للناس ذوى الضمير الصالح للتزم الصمت“.

أذكر عندما سألنى أبي قائلًا: ”لماذا لا تنصتني؟ لماذا تدخلين نفسك دائمًا فى المشاكل، خاصة إنها لا تخصك؟“

فررت عليه: ”لماذا لو استجبت لما تقول، لكن كنت أنت صاحب المشكلة.. بكل بساطة أستطيع أن أدعك لتحمل أى عواقب.. لكننى لن أستطيع، أنت فقط تعاتبني لأنك لست المشكلة، لو كانت تخصك لكنت فرحت بكى بجانبك.. وأعتقد أنى أتوقع المثل من من أساندهم“.

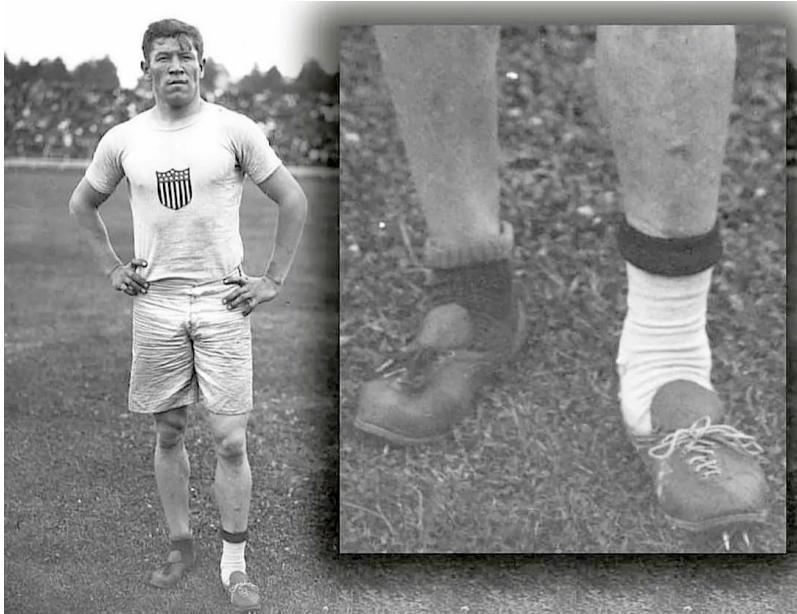
فكم قال ”مارتن لوثر كينج“: ”يأتى وقت يكون فيه الصمت خيانة“.. نعم هى خيانة لأن لك عندي حق ألا تواجه شيئاً بمفردك.

والصمت قد يعني أن الموضوع يطول شرحه.. فتكتفى بإيماءة لتخصر القول والوقت، أو ربما لحين أن تشحن طاقتك ويصبح لديك رغبة في الكلام مرة أخرى بعد ذلك اليوم العصيب.

وقد تلجم إلينه عندما لم يفهمك من أمامك، سواء يتكلم بلغة أخرى أوأغلق قدرته على الاستيعاب وأصبح لا يسمع إلا نفسه، وكل مرة تحاول إعادة فتح الموضوع عليه يرى منظوراً مختلفاً، يصبح رد فعله أسرع وأسوأ وأكثر إحباطاً.

وقد يصمت الحبيب لتتكلم عيناه ويتحقق قلبه بكل ما أراد أن يهمس به، ويصبح لصمت الحبيبين إشارات لا يعرف مغزاها إلا هما.. وقد تعاتب حبيبك بذلك الصمت، فبلغه كيف كان فعله خنجرًا في قلبك، ف تكون الصمت أبلغ من أى كلام.

فإذا صادفت أحداً يقول لك أن السكوت علامة الرضا.. قل له ”هل خرجت لتوك من قصة علاء الدين؟!!“



”جيم ثورب“ عام ١٩١٢ من السكان الأصليين للقارة الأمريكية.
تم سرقة حذائه في صباح المسابقة التي كانت سيشارك بها، بحث في
القمامدة فوجد هذا الحذاء وخاض به الأولمبياد، وحصل على ميداليتين
ذهبيتين

فربما يتعطل السلك

”لا يصل الإنسان إلى حديقة النجاح دون أن يمر بمحطات التعب والفشل واليأس، وصاحب الإرادة القوية لا يطيل الوقوف في تلك المحطات“ جون جاردينز.

إن نجاح الإنسان في الحياة ينحصر في شيئين، أولهما جهده وكفاحه من أجل هدفه المرجو، وهذا يعتمد على قدراته الفطرية طبقاً لما منحه الله إياه من حضور وقبول وذكاء فطري، ومنها القدرات المكتسبة من احتكاكات وخبرة وموافق مر بها الإنسان أكسبته القدرة على التصرف والسرعة في التفكير واتخاذ القرارات في بضعة دقائق و اختيار الكلمات المناسبة في بضع ثوان.

أما الشيء الآخر وبالطبع هو توفيق من الله، فلكل إنسان قدر مكتوب قبلما يخلق على الأرض، لكن ماهية الإنسان تؤثر على ماضيه ومستقبله وبذلك على قدره.

أى أن الإنسان يشارك بشكل فعلى في بناء ذلك القدر، فأنا أؤمن بأن الله خلق كل منا مخيراً لا مسيراً، مخيراً في اختيار أفكاره وتوجهاته وفي مدى تأثيره بمن حوله، فقد تأخذ الكثير من العلم من فاسق، وقد تطبع فقط بفسقه مبرراً تواجده المستمر في محيطك، مخيراً في أن تجعل المواقف الصعاب سبباً لبقاءك وشدة صلابتك أم تجعلك مجرد خردة لا تتفع لشيء بعدها.

فالعين لا ترى إلا ما يدركه العقل حتى وإن كان أمامك مباشرة كما وصفته شادية في أغانيتها ”دور عليه ثقاه..“ هذه العملية العقلية المعقدة بأبسط الكلمات.

وإن كنت منمن يتعمقون بعلم النفس، فقد تم تقسيم الناس إلى ”Locus Control“ تماماً كما سيحاسبنا الله تعالى $External Locus =$ أنك دائماً متأثراً بالظروف

أو تحكم في مصيرك = Internal Locus

لكن لا ننسى أيضاً أن مشيئة الله فوق كل شيء، فإذا اجتهد الإنسان مراراً ولم يشاً الله لم يكن ما يتمناه.

حتى وإن وضع الله العوائق والحواجز في طريقنا، معنوية كانت أم مادية أو حتى بشرأً يقونون سداً بيننا وبين أحلامنا.

فإن الله لا يُكلِّفُ نفساً إلَّا وسعها، ووسع النفس هنا لا تعنى القدرة على التحمل فقط، وإنما قدراتها أيضاً من شجاعة وإقدام، من ذكاء وتحطيم، أى إن الله يُكَلِّفُ أقوى النفوس بأصعب المهام.

فأولى العزم من الرسل كانوا أكثرهم تكليفاً وأكثرهم تحمل لغاظة قومهم وأكثرهم صبراً على إرساء كتب الله السماوية وقيمها على الأرض.

ولهذا قال المتibi: ”على قدر أهل العزم تأتي العزائم.. وتتأتي على قدر الكرام المكارم“.

وقد ترينا الحياة أن ما كنا نعترض عليه هو أكثر خيراً مما رجوناه كما قال رسول الله: ”ما أصابك ما كان ليخطأك، وما أخطأك ما كان ليصيبك“.

وبما أن الله عادل دائمًا في حكمه، فإن الله يعوض هذا المبتلى، وإن عدم جنى ثمار الجهد والصبر والعرق هو نوع آخر من الابتلاء، وقد لا نستطيع نحن البشر -بتفكيرنا الفاسد- أن نعرف مغزى كل ذلك، وماذا نفعل لتجنب تكرار ذلك الأمر مرة أخرى.

ولكن من أين لنا أن نعرف الفارق بين عدم مشيئة الله في إكمال عمل ما، وبين تقصيرنا النسبي الذي لا نستطيع الحكم عليه بدقة تامة، خاصة إن كنا حاولنا -في اعتقادنا- كل ما يمكن فعله.

وقد قال الله في كتابه الكريم في سورة الإسراء: ”وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً“^(١)

ثم اتبعها في نفس السورة: ”وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَا طَائِرٌ فِي ثُنْقٍ“^(٢) وقد

فسر ابن عباس هذه الآية أنها تقصد عمل الإنسان وما قدر عليه فهو ملزمه أينما كان.

ولكن هذا الخط الرفع الذي يفصل بين المكب والخسارة يتمركز حول تلك التفاصيل غير الملحوظة، في تلك الثنائي التي قد تتأخر فيها عن موعدك، في بضعة الدقائق التي تفصل قادة العالم عن اتخاذ قرار بالحرب، في تلك الساعات التي تذكرنا كيف يغير الله من حال إلى حال دون أي مقدمات، فرغم كل الإحداثيات والتنبؤات التكنولوجية، يهز ذلك الزلزال طبقات الأرض مساواً تلك المبانى الشاهقة بسطحها، تلك الأعاصير التي تتصف بقوانين الجاذبية وبمواعيد المد والجزر.. وهنا تقبع العبرية الآلهية، فتلك التفاصيل التي تبني التاريخ وتعطى بلايين من البشر بصمات مختلفة الظروف والتصرفات والسير الذاتية.

ورغم اتفاقى مع ”المتبى“ فى الكثير من أقواله، لكنى اختلف معه فى هذا البيت عندما قال: ”ما كل ما يتمنى المرء يدركه.. تجرى الرياح بما لا تستنهى السفن“

وأتفق أكثر مع قول الدكتور ”نضال جابر“ عندما رد على ”المتبى“ قائلاً: ”تجرى الرياح كما تجرى سفينتنا.. نحن الرياح ونحن البحر والسفن إن الذى يرتجى شيئاً بهمته يلقاه.. ولو حاربته الإنس والجن.. فاقصد إلى قمم الأشياء تدركها.. تجرى الرياح كما أرادت لها السفن“

فكُلُّ من يُعشق المكب ويُمقتُ الخسارة مهما كانت تقاهة أو أهمية هذا الشيء.. رهان.. مباراة رياضية.. صفة اقتصادية أو حتى قلب امرأة.. فالمكب يزود هرمون ”الدوبامين“ ف يجعلك أكثر سعادة، وكلنا نسعى إليها.. وعلى الجانب الآخر فإن هناك بعض الناس شديدى النجاح قليلى العمل.. وهذا يدفعنا لتعريف كلمة حظ!

فالحظ هو الوصول إلى المبتغى دون جهد يُذكر.

ولعلى هنا لا أستطيع مقاومة استحضار صورة محظوظ وهو يغيط

بطوط لأنه كسب الجائزة الكبرى لهذه المحلات، فقط لأنه كان الزائر رقم عشرة آلاف، بينما كان بطوط خلفه مباشرة.. صدق أولاً تصدق!

هناك أشخاص قابلتهم في حياتي في مثل حظ محظوظ، بينما أنا بالطبع أُمثل حظ بطوط!

يدفعني ذلك للتفكير في الأمر ملياً، فأنا دائماً أبذل الجهد الكثير للوصول لما أريد، لكن في المقابل حفظني الله من مئات المواقف العossal. قد لا يكون توفيق الله لك ممثلاً في الياناصيب، ولكنه معك أينما كنت.

ربما يمنحك القدرة على الإبداع، على خلق فرص من لا شيء، على استبطاط بواطن الأمور وسرائر البشر حتى وإن تعارضت مع لغتك الجسدية.

ولأن الشكر على النعمة هو نعمة، لذلك فإن استيعابك لقراراتك هو بحد ذاتها نعمة وحسن استغلالك لقراراتك وعلمك ووعيك هو أفضل أنواع الشكر. لهذا قال الرسول (ص) إن الله سيأسل كلًا منا عن عمره فيما أفاده وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، فكلها نعم من عمر وعقل ومال.

وإن كنت من الناس الذين يفضلون التأمل والفلسفة عن التفكير في الدين كما يفعل الكثير من يتبعون فلسفة "جلال الدين الرومي"، فإن هذا الرجل كان مسلماً متصوفاً، استطاع بسلامة شديدة الجمع بين آيات الله وفلسفة "أرسسطو"، وقد قال: "من جمال الحياة أن الله يبعث في طريقك ما يوقفك بين الحين والآخر.. أنت الذي ظننت لوقت طويل أنك مستيقظ".

فهمما كنت مفكراً واعياً، عليك أن تقوم بصيانة كل فترة لمفاهيمك، بمراجعة قناعاتك، لا تستكبر وتظن أنك في أفضل لياقة فكرية ممكنة، فحتى سيارتك الفارهة تحتاج غسيل وتزييت وتغيير بعض الأجزاء في صيانة دورية.

ولأن لكل جواد كبوات.. سقطات ينهض منها لينفض الغبار عن ذكرياته ويلملم شتات مشاعره، ليستحق فعلاً أن يكون جواداً.

فحن نتشارك الكثير من السلوكيات مع الحيوانات.. ألم تفتتن؟

إليك هذه التجربة التي تقوم بتصعق كل فأر يحاول الفرار، في أول أيام حاولوا جميعاً، وبمرور الوقت فلت المحاولات، حتى تبقى فأران يحاولان شهر آخر، ثم توقفت المحاولات نهائياً، واستسلم جميع الفئران لذلك المصير.

مالم تعلمه الفئران أنه تم إزالة السلك الذي يربط الصاعق بباب الخروج، وذلك بعد عدة أيام من توقف آخر محاولة.

لكن إقرارهم بالهزيمة أبعد اقتراح المحاولة مرة أخرى، ولم تراود أحدهم فكرة تعطل السلك أو سهو أحد القائمين على التجربة بتشغيل الصاعق.

فقط كل ما تكون وتراتكم وترسخ بداخلهم هو اليأس، وقد سميت هذه التجربة التعليمية السلبية "Learned Helplessness"

أى أن يتم برمجة مخك ورادتك على الاستسلام حتى لا تجرؤ على المحاولة.. فمهما كنت وأينما تواجدت هذه البرمجة المذلة، لاتكن ذليلاً للانكسار، لاتكن عبداً للظروف.. فقط حاول مرة أخرى فربما يتعطل السلك!!



الباريسى الصغير“ أُنقطت هذه الصورة عام ١٩٥٢ بواسطة
المصور الفرنسي ”ويلي رونس“

فرق توقيت

لم أستطع النوم جيداً في تلك الليلة، فكان الأرق أكثر قرابةً لي من وسادتي.. غالبيته كثيراً، لكنني أخيراً قررت أن أبدأ يومي مبكراً قليلاً، فقد أوشكت الساعة على الرابعة والنصف صباحاً.

راودني إحساس غريب عندما فتحت النافذة، فكل ما حولي كان عالماً مختلفاً عما نعيش، عالم به براءة وصفاء بلون السماء الممتد في الأفق، بينما تتماشى بعض السُّحيبات ببطء، ونسمات هواء تتخلل وريقات الشجر اليانعة.

أخذت أفكراً لماذا لا تظل الحياة بهذا النقاء؟ لماذا فرق التوقيت يحدث هذا التغيير الشعري؟ هذا الفرق الذي أوجد تعقیداً تدريجياً يستحيل معه الرجوع للوضع الأول من البساطة. فتدرج في المكانة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، من كونك تلميذاً صغيراً أقصى أمانيه أن يحصل على كلمة تشجيعية بجانب جوابه الصحيح في كراسته المدرسية الملونة، وأن تمثلئ حصالته بالعملات المعدنية، ليسع ليقول حينها لأول من يقابلها كم ادخر من مال.. إلى أن تصبح إنساناً مسؤولاً لك هيئتك ومركزك الذي تسعى دائماً إلى تعليمه، دفاترك المقدسة وحسابك البنكي الذي تتأكد من سريته التامة!

قال "ماركز": "كانت أمنياتي ألا تجبرني أمي على الإفطار، وأن تسمح لي باللعب عصراً في الحديقة، ويشتري لي أبي دراجة، وترسم المعلمة على يدي نجمة.. كيف تعدد الأمر؟".

كنت في صغرى أستغرب شخصية "بيتر بان" ذلك الطفل الذي لا يريد أن يكبر، وقبل نضوجه يذهب إلى جزيرة بعيدة، ويظل هناك مع جميع الأطفال التائبين الذين يودون البقاء أطفالاً.

أما الآن أجدها منطقية جدًّا ولكنني لا أستطيع إيجاد هذه الجزيرة على أي خريطة!

ربما بحث عنها أيضاً "جبران خليل جبران" عندما قال: "ليتني طفل لا يكبر أبداً، فلا أناافق ولا أراهن ولا أكره أحداً.

يعتقد البعض أن الفترة الأساسية لتكون شخصية الإنسان تتحصر في الطفولة والمراهقة، لكن في واقع الأمر هي عملية ديناميكية أي دائمة التغيير، تبدأ بكل ما تسمعه وأنت جنيناً في رحم أمك، سواء أكان ذلك صوتها العذب يقص عليك صفحات أرادت بها تسليتك وتعليمك لغتها فتتواصل معك حتى قبلما تبدأ بالتنفس بمفردك.

أو كان صوت شجار صاحب بين والديك.. فتحدى نفسك قائلاً: "هل على الخروج يوماً ما من مخبأ؟ هل أستطيع البقاء هنا للأبد؟".

يتغير الناس باستمرار غالباً للأسوأ، فلا تستدركي أن يتغير أحد أحبابك عليك أو أن ينكر أحد أصدقائك فضلاً.

ولا تسمح لهم بتكونين تلك العقدة بداخلك من باقي الناس فتصبح كطفل أقوى مكعباته بسخط لأنه وجد مكعباً ناقصاً.

واذا وجدت شخصاً بنفس طباعه من ذي اليوم الأول الذي عرفته فهو، فتمسك به لأنك من القليلين الذين لا يبررون الواقع في الانحدار الأخلاقي لشدة الصعاب، ولا يتناسونك بعد اللقاء، لذلك كن شاكراً لوجوده في حياتك فهو من فئة قاربت على الاندثار.

لا.. بل كن شاكراً الله أنك نفسك لم تتغير، فالله يقلب القلوب فيما يشاء، كن شاكراً أنك لم يصبك التيه كالذين تغيروا من حولك، لم تنس قيمك وجوذك، لم تنس الشجرة التي كانت فيها أرجوحتك، وصوت العود الذي كان يعزفه جدك.. تكبيرات العيد وكعك والدتك.

كن شاكراً لأنك تستطيع معاشرة نفسك إذا حاولت تقليل هذا الزور، فانتقاد النفس أقسى أنواع الانتقاد، أو كما قال سيدنا "محمد": "جهاد النفس هو الجهاد الأعظم".

أبحث عنك

أنقذ الأخبار يومياً لأخمن أين أنت الآن وأى الأمور ستحتاج لتدخلك.

وتبث عيناي عنك بين الحضور فى كل تلك المؤتمرات والتصريحات والمقابلات، ربما تباغتك إحدى الكاميرات بتصويرك دون أن تتبه، لكنى لا أجده.. مرة واحدة لمحتك بها من ظهرك وأنت تسلم على إحدى الشخصيات الهامة فى لقطة لم أستطع إعادتها ثانية.

كم أكرهك وأحبك فى آن واحد! أكرهك لأنى لا أستطيع رؤيتك حتى وأنا أعلم أنك مشارك فى ذاك الحدث.. وأحبك لأنك لا تهتم لتلك السخافات الإعلامية الفارغة، لذلك التصنيف الأصم والموافقة العمياء، لأن كل ما يهمك أن تحل ذاك التشابك ونقل تلك العواقب.. أحبك لأنك صادق مع نفسك، وإن كنت قادرًا على المحافظة على هذا الصدق فى وسط كل هذه المغربات، فستكون صادقاً معى دائمًا.

ربما احترامى لما تفعله وكيفية فعله هو ما يدفعنى لغفران بُعدك.

أذكر عندما كنا نجلس فى هذا المطعم الذى يطل على كورنيش الزمالك - لم نذهب إليه سوى مررتين لكنهما كانا أجمل ما يكون - ثم نظرت إلى النيل ولمحت قارباً صغيراً ينسدل منه بعض القماش الأبيض اللامع كما لو كان مشهداً من مسرحية لشكسبير، وقلت لى: " علينا أن نأخذ قارباً كهذا فى إحدى المرات" كان هذا أحلى قارب رأته عيناي، لم أر مثله بعد ذلك، ربما سيظهر ثانية عندما تأتى أنت!

ثم تقول لى ما كان يجب أن نلتقي.. كيف عساى أن أسلى هواك؟

تغار علىٰ كثيراً.. أتلاف أن يخطفني أحد منك؟ كيف يمكن أن يُشَابِهَك أحد؟ كيف يمكن أن يتكرر حبك؟ من يمكن أن يسمو حبه بهذا القدر؟

وكيف تكون بمثل هذه الأنانية؟ فتحسس أخبارى وتسأل كل من يعرفوننى

عن أحوالى بشكل شبه يومى، ولكنك تتركنى لا أعرف عنك شيئاً.. أليس لى حق الاطمئنان عليك؟ أليس يجن جنونك عندما تتقطع أخبارى عنك عدة أيام؟ ماذا عنى.. أحافظ على ربطه جاشى كل هذه المدة، أتظن أننى لا أستطيع أن أفعل مثلك؟ تعرفنى أننى شديدة الجنون، فلماذا تخدانى؟

تعرف أننى قد أتحدى أى إنسان على هذه الأرض، وأنت الوحيد الذى تعرف ما الذى أستطيع فعله، لكنى معك أصبح كالقطة واتى تحت ذراعيك بكل دلال، ففى حضنك أتنوّق طعم الأمان وأنادى على الأمل البعيد وتتجدد فرحتى من حيث لا أعلم.

وإن كنت نقلق أنك بجانبى تنسى أنك ملكاً، فأنا بجانبك أنسى كل العالم.. أنسى كل الأسى والحروب.. أنسى أننى لم أعرف يوماً سوى القتال والمعارك.

لكن حبك اتفاقية سلام لقلبى المنهك، فأضع أسلحتى جانباً وأغمض عيني فى سكون.. معك أستطيع أن أتناسى ذلك الحرص القاتل الذى يرهقنى دائماً.. معك لا أكتثر إلا لكونك معى.

أشكال القوى

كان أبي دائم القول أن الدنيا إما قوى يضرب أو ضعيف يُضرب، حيث كان اعتقادى حينها أن هناك العديد من الخيارات فيما بينهما، لكن عندما فهمت الحياة جيداً عرفت أن ليس هناك اختياراً ثالثاً، لكن أشكال القوة تتعدد وذلك يؤدى لنطابق مبادئ القوة.

قبل عيد الأضحى بأيام كان أهم ما انتظره وأنا صغيرة هو أغنية الليلة الكبيرة، حيث كنت أحب ترديدها ولم أكن أستوعب حينها أنها تمثل جزءاً كبيراً من حياتنا بهذا الشكل، فلم أكن أعلم أن "شجيع السيما أبو شنب بريما" بقوته العضلية الهائلة يبعث قدرًا عالياً من الرهبة فيمن أمامه، فيعمل له ألف حساب بدلاً من أن يخاطر أحدهم بأخذ "علقة" ساخنة.

لكن ر بما بالمال تستطيع أن تُغرس بشجيع السيما ليحميك فيكون حارسك الخاص، أو تدفع له ليكون بلطحياً ينتقم لك من من تريد!

فالمال قوة لا تُدرك تغير العصور منذ قارون ومفاتيحه التي تحتاج عدة رجال ليرفعوها إلى أمريكا وأسلحتها التي تحتاج عدة مليارات لشرائها.

أتعتقد أن القوة الاقتصادية غاية أم وسيلة؟ أغایة لأنها في حد ذاتها رفاهية أم وسيلة لتصل إلى ما تريده؟ لكن لتنكملي قيمة الشيء يجب أن يقوم بوظيفته، فما قيمة المال في صحراء قراء حيث شربة ماء بكل ما جناته في حياتك؟ وكيف تقييد الكنوز في مفارقة حبيب للحياة؟

أتعلم لماذا يدمن الناس على المقامرة؟ ليست فقط لأنها مكسب سريع، بل الأهم هو ما تفعله في عقلك الباطن

"Intermittent Reinforcement with Variable Ratio Schedule" ويعنى تحفيزاً لا يمكن التنبؤ به، وهذا أكثر المحفزات نجاحاً على الإطلاق وأكثرها ثباتاً وأصعبها استغناه.

فكل محاولة تجعلك أكثر شغفاً، فالغاية الأولى هنا هو الشعور بالنجاح بالمحاولة ثم يأتي المكسب كنتيجة مرتبة على هذا النجاح العشوائي.
وإذا شعرت أن هذا المنطلق بعيداً عنك، فتذكر كيف توبخ أطفالك على فعل ما، ثم يكررونه ولكن يصيّبوا الملل من تكرار النصائح، فأصبحت تتصحّهم مرتان وتتوقف مرتان وهكذا.. وبذلك أصبح رد فعلك ككرة الروليت، وكل مرة يكررون خطأهم يراهنون في عقليّم الباطن أنك لن تُحرّك ساكناً، وبهذا جعلت الأمر أكثر سوءاً.

وبالمثل عندما تكون في علاقة عاطفة مرهقة، يكون بها الوصال متارجاً، وكل محاولة للقرب تراهن بكل فشلك على الود أو الصد.
فرجاءً لا تفعل ذلك بنفسك ثانية.. فقوة الإدراك تبقى بعيداً عن تحكم عقلك الباطن والأسوأ تحكم الناس بك.

هل فكرت لماذا ستطلب إن وقع خاتم سليمان في يديك؟
أو اشتريت من الروباجيكيا ما يشابه مصباح علاء الدين، وفي الحالتين سيلبي الجنى مطلبك!! إنها قوة التحقيق.. تحقيق ماتريد.. أين كان.. أجمل نساء الأرض تحت قدميك، سلطة لا تضاهي.. ربما!!
إن القوة العقلية تمثل دوراً أساسياً في تجسيد أحلامك إلى واقع.. قد يكون ذكاء بناء لخدمة البشرية أو مؤدياً إلى تطور دماء الأسلحة النووية.. سواء كانت نيتها خالد بن والوليد وصلاح الدين في نصرة الإسلام، أم كهتلر وستالين في إبادتهما المدمر وفسوتهمما التي أودت إلى مزيد من الحروب.. جميعهم خططوا وقادوا ونفذوا.. لكن شتان!!

ومن هنا تأتي قوة المبدأ، أعاصرت حرباً من قبل؟ أشعرت أنك قد تموت اليوم برصاصة أو غداً في انفجار، مالذي يجعل إنساناً يضحى بكل ما له في الحياة؟ إنه مابداخله من رسوخ ثابت.

تسائلت كيف استطاع سيدنا نوح أن يدعو قومه ألف سنة؟ إنه مزيج من قوة المبدأ والتحمل والإيمان، فبعدما تجد نفسك مقطوع تمام الانقطاع بما تفعله وتتحمل من أجله أي شيء على وجه الأرض، ستنهون عليك حياتك في سبيله.

أشكال القوى

ليس بشراً من لم يتعرض لأى شكل من أشكال الإهانة أو الذل أو الظلم، لكن عندما دارت الساقية ماذا فعلت؟ أصفحت أم انتقمت؟ هذا يتحدد بمدى قبح ما تعرضت إليه ومدى سوء من أمامك.. لكن أليس الصفح عند المقدرة؟ إنها قوة الرحمة، فالصفح هو صفاء النفس ورحمتها، هو ما ينزع منك الحقد والضغينة، هو ما يجعل منك إنساناً عادلاً غير متحيز.

إذا أمعنت قراءة تاريخ البشرية فلن تجد أروع من الدولة الإسلامية وأكثرها اكتمالاً، وذلك لأن قوة التعاون جمعت بين كل تلك القوى ولكن بالجانب المشرق منها فقط.

قليل من الخوف

فيما مظلم في ليلة عاصفة مطيرة، تتصارع خطوات الأقدام، تتسرّع دقات القلب، تعلو الموسيقى التصويرية، تحبس أنفاسك متربّاً ما سيحدث.. من سيهرب ومن سيُقتل؟

هذا هو سيناريو أفلام الرعب التي يتم إنتاجها بميزانية بسيطة للغاية بالمقارنة بما تتصدره في إيرادات السينما العالمية.

وبعد إنتهاءك من المشاهدة قد تطاردك أحداث الفيلم فتسرق النوم من عينيك أو ربما يراودك كابوس لا يتدخل فيه بطل الفيلم لإنقاذه.

فإذا كنت تريدين الشعور بالخوف، تستطيع متابعة القنوات التي تنقل الحروب والتطهير العرقي مباشرة.. فترى مئات البشر يُقتلون دون أدنى خدع سينمائية. لا تستوعب حقاً كم التخلف والتقاوه في تلك الأفلام، ولماذا يريد الناس أن تتم إخافتهم؟ هل يتسوقون ليكونون الضحية أم القاتل؟ لماذا تستطيع تصنيفهم بأنهم غير متزنين دون أن أشعر بأى تأنيب ضمير؟

فالحياة التي نعيشها مليئة بالمخاوف التي لا يمكن تجنبها.. فالخوف يتملكنا ويتعلّق بكينونتنا.. فلا تبحث عنه في شاشة!

قال "جون بيريمان": " علينا أن نسافر في نفس اتجاه مخاوفنا" .. كم أنهت هذه النصيحة ترددى وحيرتى في العديد من المواقف!

وفي علم السلوك هذا بالضبط هو الأسلوب المتبّع للتخلص من أي درجات من الخوف حتى وإن كانت فوبيا.

الأول هو "Systemic Desensitization":

وهو الانتقال من الشعور بالأمان بعيداً عن الفوبيا التي تتحكم بك إلى التعرض لها تدريجياً، فمثلاً إن كنت تخاف من الارتفاعات الشاهقة "Acrophobia"، فتستطيع تدريب نفسك على الصعود إلى الدور السادس

قليل من الخوف

والنظر من الشرفة، حتى تعتاد عينيك على ذلك الارتفاع. وينتظم تنفسك، وفي كل مرة تليها تذهب للدور الأعلى، حتى تذهب لبرج القاهرة أو جبل سانت كاترين و تستمتع بالمنظر الذى تراه عينيك وتعجب لماذا كنت خائفاً في بادئ الأمر.

بينما الثاني هو "Sudden Exposure" :

وهو الشعور المرريع ببرودة الماء الذى تخشى الغرق فيه، عندما يُزج بك على حين غرة في حمام السباحة، فتشعر أنك أوشكت على الموت، لكن فيحقيقة الأمر، فإن رد الفعل بجهازك العصبي سيحرك ذراعيك وقدميك وينقذك، وستخرج من هذه الحادثة مبلاً ومتخلصاً من خوفك.

أما بالنسبة لى فقد عانيت لسنين طوال من "Stage Fright" أو "رُهاب المسر".

ففى طفولتى معنى ذلك من الاشتراك فى الإذاعة المدرسية وفرقة التمثيل التى اعتادت أن تقدم عرضاً في حفل نهاية السنة الدراسية وأستمر ذلك حتى دراستى الثانوية، حتى تخلصت منه تدريجياً فإذا خطر لي سؤال أستجمع شجاعتي وأسألله، متناسية أى انتقاد محتمل من زملائي وحقاً لا أأبه لأى مدح أيضاً.. فلو أخذت أفكراً في أحدهما لن أتخلص أبداً من خوفي، بمرور الوقت لم أعد أخاف من شيء والأهم أننى لم أعد أهتم لآراء الناس.. فقد أصبحت طليقة الفكر واللسان.

فأنا حقاً أشفق على من يهتمون بما يقوله الناس عنهم، فآراء الناس ليس لها أى معايير، ولذلك لا يمكن الثقة بها.

أنا فقط أثق بوجود، أساسيات للحكم، أما الناس فنهتفون للاعب الكرة إذا سجلت قدمه هدفاً ذهبياً، بينما تسبه سبا عليناً بعد عدة دقائق إذا أخطأ التصويب.

فكيف يمكن الثقة بهذه الهوائية والسطحية الشديدين للحكم على الأمور.. كيف يعقل أن تستمد من الناس ثقتك بنفسك؟ أعتقد أن هذا ما يؤدى ببعض الممتحنين والمعنويين العالميين لمراحل من الاكتئاب وشرب الكحول والم捺درات

قليل من الخوف

والانتحار في بعض الأحيان، فالضغط النفسي الشديد الذي يضعه عليهم ملايين الناس من المعجبين والمتابعين والنقاد والصحافة الصفراء قد يدمرهم، فقط إذا كان هو ذلك نفسه مصدرهم الوحيد لنقتهم بأنفسهم.

ليس الخوف دائماً بهذا السوء، فهو الذي يجعلك أكثر حرصاً في تصرفاتك وقرارتك، فتنتظر جيداً يميناً ويساراً لتجنب أي حادث طريق.

ويدفعك لتكوين أصدقاء ثم إقامة أسرة حتى لا تعيش بمفردك، وقد نفتني أحد الحيوانات الأليفة كجزء من الصحة بالمنزل.

وليس الأفراد فقط هم من يخافون، فالبلاد بأكملها تخاف وذلك ما يدفعها للحرب، فتحتل الدول بعضها البعض ل تستغل مصادرها الطبيعية قبل أن ينفذ ما لديها، ويتم تجهيز الجيوش وشراء المعدات الحربية بbillions الدولارات لتجنب دولة الاعتداء الأخرى.

فالخوف هو ما جعل للرجل هيبيه وللذهب قيمة وللوطن حنينه، هو ما أعطى للأسد مملكته وللفران سرعتها!

فكل منا مخاوفه.. لأن الخوف طبيعة بشرية للحفاظ على البقاء في أفضل حال ممكنة، فالقليل منه لا يأس به!

حرية وعد

كنت أنظر إلى السماء وأنا مستلقي على سريري، أنظر مكالمته التي اعتاد أن يقوم بها كل يوم قبل أن يخلد إلى النوم.

رن الهاتف واسترسلنا الكلام.. حتى قال لي "هل ما زلت تسمعيني.. أين ذهبت؟"

ذهبت خواطري بعيداً وبالكاد حافظت على تركيزى معه.. ثم قال لي "ما بيك؟"

جاوبته "أنت أردت أن تساعدني في ذلك الأمر، لكنه لن يحدث إلا بعد شهرين على الأقل.. هل ستكون معى حينها أم ستكون رحلت كما يذهب الراحلون دون مبرر مقنع وحتى أحيانا دون أدنى كلمة.. يرحلون لأنهم لا عهد لهم ولا كلمة، يرحلون لأنهم يشعرون بضالتهم أمام عقلي ومبادئي وقوتي".

رد قائلة: "لا تقلق يا صغيرتى.. سأكون معك حتى بعد سنة وليس فقط شهرين"

قلت له: "فقط تذكر ذلك الوعد، فربما لم يف به أحد.. هل ستتبع خطاهم أم ستكون استثناءً شريداً مما سلف من القطعان التي لا تعي حقاً ماذا تقول؟"

قال: "ربما ستحاجين بعض الوقت لمعرفتى جيدا.. فأنا رجل أفى بوعودى.. ووعد الحر دين عليه وأنا إنسان حر"

حدثت نفسى قائلة لها: لقد سمعت تلك الكلمات عشرات المرات.. لكن لم يتبعها أحد قبله بوصف نفسه بالحر.. نعم فالنفس الحرة فقط تعلم معنى العهد ومعنى الحب ومعنى المسؤولية.

والحرية هنا تجمع مئات المشاعر والقيم، كما أن وصف القيد والعبودية

لا يجب أبداً أن يقتصر على وصفِ مادى للسلسل والزنزين.

فالنفس الحرة لا ترکع أبداً مهما مر بها من ظروف شدّاد، لا تتلون ولا تتنازل عن تلك الحرية بملء الأرض والسموات ذهباً.. فالنفس الحرة يستوى عندها الموت والحياة طالما كانا في سبيل فكرها وإرادتها الحرة.

كما قال ”غسان كنفاني“: ”الحياة ليست نصراً على الموت.. الحياة فقط مهادنة مع الموت.“.

يعتقد ملايين من الحمقى في العالم بأسره أن الحرية هي أن تفعل ما تزيد وقتاً تزيد.. وقد يزيد البعض منهم عليها قائلين أن الحرية هي فعل ما تزيد دون أن تضر بأحدٍ. أعتقد أن هذه هي كارثة الشعوب الحقيقية.. لا يفهمون أن الحرية هي قمة المسؤولية وأن كلما زدت معرفة، زاد واجبك.. تماماً كما لا يحاسب الله الأطفال ويرفع المحاسبة عن ذوي القدرات العقلية الضئيلة.. يجعل الحساب على كل بالغ ”بلغ سن البلوغ“ و ”عاقل“ ليس مصاباً بعنه ذهني جيني و ”راشد“ أي بلغ سن الرشد وهو الواحد والعشرين وهو نفس السن الذي تستطيع فيه التحكم بأمورك المالية والقانونية.

فالحكم له معايير محددة سواء كان ذلك شرعاً أو قانوناً.

وإذا نظرت إلى أي خطأ فادح أصاب شركة عالمية، فستجد إنها تقوم بعزل المدير التنفيذي ”CEO“ لأنّه هو القائم على اختيار من ينوبون عنه وهم من اختاروا من ينوبون عنهم، فاختارت الفئة الأخيرة هذا الشخص الذي سبب تلك المشكلة التي أضرت كثيراً بتلك الشركة في سمعتها ومعدل إنتاجها وإرادتها وأسهمها.. هل أستوعبت الآن كيف تكون الحرية المطلقة للتّحكم في شيء ما هو أصعب ما يكون؟؟؟

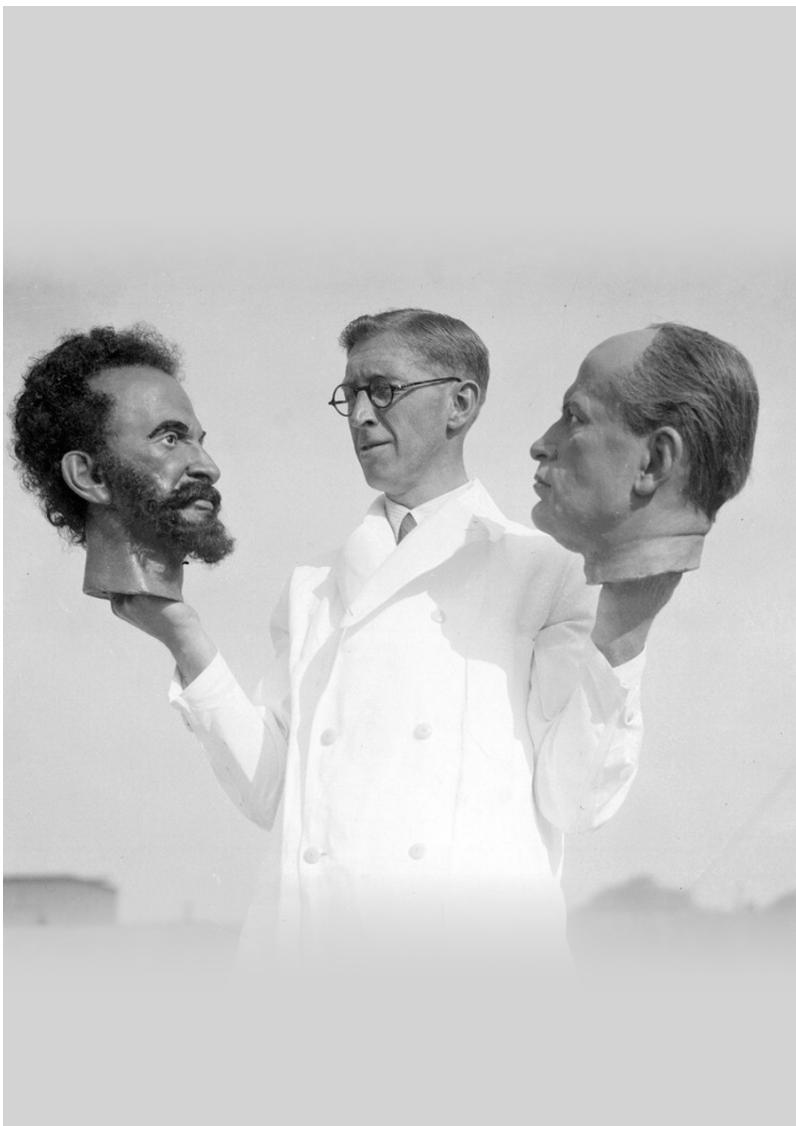
قال الشاعر الأسباني ”لوركا“ لحبيته: ”ما الإنسان دون حرية يا ماريانا؟“ قوله لى كيف أستطيع أن أحبك إذ لم أكن حرراً؟ كيف أحب لك قلبي إن لم يكن ملكي؟؟؟

فالحب وعد بالبقاء والاستمرار على نفس الوثيره من جمال وارتفاع المشاعر.. موقفه هنا كان ناتجاً عن معرفته أنه سيتم القبض عليه وإعدامه؛

حريقة وعد

عقاباً له على محاولته لتحرير وطنه.. وكلماته التي تُظهر مدى امتناع حرية قلبه بحرية وطنه.

إن كنت حقاً حراً فستمتزج عهودك بواجباتك بعزمك بآياتك.. لا يمكن أن تفصلهم أبداً عن بعضها البعض.. فقط كن إنساناً حراً!!



”برنارد توسو“ ١٩٣٥ حاملا رأسين من الشمع، أحدهما لـ ”موسوليني“
و الآخر لـ ”هيلا سيلاسي“ إمبراطور إثيوبيا

تصنيفات البشر

هل تؤمن بالأبراج؟ عجبت دائمًا كيف يمكن أن نقسم تلك الت hariونات المليونية من البشر إلى مجرد اثنتي عشر برجاً فقط، أو حتى لتصنيفات التقويم الصيني.

بالطبع هناك مئات التصنيفات العرقية واللغوية والشكلية للبشر، لكن عندما دخلت إحدى المكتبات لاشترى واحداً من تلك الكشاكيل الضخمة التي تصنفها الألوان إلى عدة أقسام كي لا تغرق عيناك بين كل تلك الصفحات، ساعتها أردت أن أضع كل من تعاملت معهم في حياتي أو حتى من قرأت عنهم في تصنيف يجعل التعامل أكثر سهولة.

وهذا التصنيف مبني على عامل واحد فقط هو أول رد فعل سيراود كل منهم.

المجموعة الأولى هي "Ego" وتعتمد على "Negative Reactors" وهي تأثر بالذئاب الظواهرية، ويعنى أن هؤلاء الناس أنانيون بشكل رائد لأنهم يحاولون تحقيق التوازن بين المجموعتين الآخرين بحيث يحققون رغباتهم في إطار يتناسب مع المجتمع، وت分成 إلى قسمين: من يعرفون أنهم كذلك ولكن لا يهاؤن ويفضلون المشي بجانب الحائط لأن ذلك -في اعتقادهم- أسلم وقد قال "مارتن نيمولر" في هذا الشأن: "في ألمانيا عندما اعتقلوا الشيوعيين لم أبال لأنني لست شيوعياً، وعندما اضطهدوا اليهود لم أبال لأنني لست يهودياً، ثم عندما اضطهدوا النقابات العمالية لم أبال لأنني لم أكن منهم، وبعدها اضطهدوا الكاثوليك لم أبال لأنني بروتستانتي، وعندما اضطهدوني لم يبق أحد حينها ليدافع عنّي".

والقسم الآخر هم السليرون الذين لا يعلمون أنهم كذلك، قد تتفتح مداركهم يوماً ما وقد يموتون دون الاعتراف بمدى تقاومهم.

وهذه المجموعة تمثل الغالبية العظمى من البشر وبالطبع يسهل عمل

غسل مخ لهم لتنقنه بما تشاء وتجعلهم ينفذونه.

المجموعة الثانية هم "Evil" وتعتمد على "Id" وهو يعني الرغبات الغريزية: وفقاً لتعريف "فرويد" هم من ينهمون الحياة نهماً، من يتذذبون بالتعذيب والقتل والاغتصاب، من يعنون في الأرض فساداً، يقيمون الحروب والعلاقات غير الطبيعية، هم للأسف راضون عن أنفسهم تماماً بل يفخرون بمدى قسوتهم ويعتبرون الإنسانية ضعفاً.

يوجد تصنيف جزئي لهذه المجموعة، لكن بشكل أقل حدة :**"Passive Aggressive"**

وكما تعنى الترجمة الحرفة فهم عدوانيون سلبيون، يحبون التحكم بتوافق الأمور، لا يضرونك جسدياً، لكن يحطونك معنوياً، يؤخرون مواعيدهك ويعطّلون مصالحك، مبرراتهم واهية يقصدون بها زعزعة ثقتك بنفسك، لعلك تصبح مثّلهم.

أما المجموعة الثالثة والأخيرة هي **"Positive Reactors" وتعتمد على Superego** ويعنى الضمير والمبادئ الأخلاقية:

وهي قسمان، الأول الإنسان الذي يستجيب لما يخصه فقط ، ويندرج نوعان منه: أن يكون إيجابياً عندما يمسه أحداً بضرر ويدافع عن نفسه وكرامته دون المساس بغيره. وهناك من يتحرك للدفاع عن مصالحه، حتى وإن أدى ذلك لأذية البعض، هو هنا لا يقصد الأذى، بل قد يشعر بتأنيب ضمير حيال ذلك، لكن ذلك ناتج عن وضع أولوياته الشخصية أولاً.

والقسم الثاني هو الإنسان الإيجابي لأى فكرة ظالمة تجاه أى شخص أو المجتمع ككل، فهو لاء الناس هم الذين لا يستطيعون تجنب مواجهة ال欺辱 والذل، لا يستطيعون السكوت عن الباطل.. هم مغيّري التاريخ ومنقذى الأرواح.. هؤلاء لا يحتاجون إلى مدح أو شكر أو ضجة إعلامية.. فقط يفعلون ما يتوجب عليهم فعله.

وخير مثال على هذا القسم هو "تشى جيفارا" الذي كان أرجنتينياً، وحارب في الثورة الكوبية بجانب "فidel كاسترو"، وكان يريد أن يحرر كل أمريكا

تصنيفات البشر

الجنوبية من طغاتها.. وكان يدعم حركة التحرير في الجزائر وتشيلي وفيتنام.

ومن أقواله: ”إن مقاومة الظلم لا يحددها أبداً الانتماء لدين أو عرق أو مذهب سياسى، بل تحددها طبيعة النفس البشرية التي تأبى الاستعباد وتسعى للحرية“.

وعندما سأله إلى متى ستحارب.. قال: ”إلى أن أستطيع تقديم كوب لين لكل طفل في العالم“!!

هؤلاء القلة تكون طموحاتهم أكثر تعقيداً مما يمكن تحقيقه، غالباً يموتون أو يُقتلون قبلما يحققون عشرة بالمائة مما يسعون إليه.

لكن ما يفعلونه.. لا يستطيع أحد غيرهم فعله.

كم تساوى قيمتك؟

اعتقد الناس أن يقمنون للشخص في عيد ميلاده عمرًا مديدًا، ويسعون لاكتشاف أكسير الخلود ليعيشون مئات الأعوام.

لكن كيف يقضى كل منا حياته؟ فهناك عشرات الآلاف من الساعات التي تُبدد في النوم والأكل والانتظار في الإشارات المرورية، ناهيك عن أوقات الكسل والترفة وبالطبع هوایة الغيبة والنسمة، وقد تقوم بعمل ما فقط لأنك تحتاج هذا الراتب وليس لك منه مؤثراً في الحياة.

فالجزء الهام فعلاً من العمر ليس بكثير.. فهل كونك على قيد الحياة له تأثير؟ هل إذا أخطفتك بعض الفضائيين سيختل دوران الأرض؟

فإذا نظرت كم عدد البشر الذين حُلِّقوا وعاشوا منذ بدء الحياة على سطح الأرض إلى وقتنا هذا، ثم نظرت كم عدد من يتم تذكرهم حتى الآن خيراً كان أم شرًا لن يتجاوز بضعة عشر من المائة.

فإذا أردت أن تعيش طويلاً، استغل تلك الساعات القليلة من عمرك التي قد تستطيع من خلالها جعل تواجدك ليس بعابر.

كانت أمي دائمة الاعتراض على أنني أسعى للتغيير قلوب الأشخاص وأفكارهم، ربما لم أنجح في هذا التغيير حتى مع أقرب الناس إلى، لكن لم أستطع وعدها أن أكف.

فطالما راودنى ذلك الشعور أننى قادرة على تطوير الظروف وخلق نتائج مختلفة تماماً، لكن من أين لى بهذه الطاقة السحرية في ظل تلك المتغيرات الكئيبة؟ لماذا أشعر أننى الفراشة التى قد تؤدى رفرفة جناحيها إلى إعصار يطيح بكل شيء؟

فكما قال "استيفن جوبيز": "المجانين الذين يظنون أنهمقادرون على تغيير العالم، هم فعلاً من يغيرونه".

هؤلاء الناس يملكون شيئاً لا يملكه باقى البشر "Orenda" وهى تلك الطاقة الخفية التى لاتجعلك تستصغر نفسك، فإذا كانت الحرائق تتدعى من مستصغر الشر، فلماذا لا يقوى العدل بعزم العدد القليل.

وإذا كانت الثورة الصناعية الكبرى قامت على قوة البخار ، فلماذا لا تحل أفكار بسيطة عِصَال الأمور؟

ورغم أن "ليوناردو دافنشي" كان موسوعة علمية منتقلة بين علوم الرياضيات والتشريح والفنون والرسم والنحت، إلا إنه لم يستطع إثناء العديد من اختراعاته ورسوماته، وقد أشعره ذلك بالتعصي وعبر عن ذلك قائلاً: "يرأودنى ذلك الإحساس أنى أسأت إلى الله والبشرية بفعلى القليل وقد كان على أن أفعل المزيد".

يتداول العامة ذلك القول المأثور "مات ناقص عمرًا إذا توفي شخص في ريعان شبابه، لكن ما الذي يحدد عمر كل من؟"

فلماذا يموت طفل بعد أول أسبوع من ولادته، ويموت شخص آخر في التسعينات من عمره؟

فكل شخص خُلق على هذه الأرض له دور معين كما لو كان قطعة صغيرة من أحجية مهولة الحجم والصعوبة، وبالطبع كل القطع منظمة بشكل غيبى.

لذلك فموت الأشخاص يكون بعد اكتمال دور كل منهم في الحياة، وتكون وفاة أحدهم هو آخر مشهد له فى هذه الحقبة الزمنية، حتى وفاته جزء من دورك وما سيترتب عليه حياة آناس آخرين من بعدك سواء على مستوى أسرتك أو عملك.

قال "د.مصطفى محمود": "قيمة الإنسان هي ما يضيفه بين حياته وموته" .. فكم تساوى قيمتك؟



واحة بالقرب من أهرامات الجيزة عام ١٩١٧

لغة وحيدة

الحل هو عبارة عن فكرة، ولا يمكن التعبير عن أي فكرة دون استخدام اللغة.. وقد كان الاحتياج لابتكار اللغة الدافع لنقل ثقافات الشعوب وتدوينها للأجيال القادمة حتى لا تندثر بموت أحدهم.. وأن رسالات الأنبياء ودعوة كل منهم كانت كلاماً يعبر عن أفكار تأكيدية لوجود الله وإثبات وحدانيته، وهذا ما ميز بنى آدم عن الحيوان.

قام العالم الياباني "تيسورو ماتسوزاوا" بتجربة على فردة الشمبانزي، هذه التجربة كانت اختيارية، أي أن مدخل معمل الاختبار كان بين الأشجار التي يتقلون عليها، وعندما يريدون اللعب بداخل المعمل يدخلون بكلام إرادتهم.

كانت التجربة عبارة عن عرض عدد من الأرقام في أماكن مختلفة على الشاشة أمام الشمبانزي، ومن ثم تخفي وعليه الضغط على الأماكن الصحيحة للأرقام على الشاشة. قد يبدو الأمر سهلاً، لكن عند مقارنته بمعدلات البشر ستظل النتيجة تماماً.

ففى عدد الأرقام الأقل من عشرة التي تظهر لمدة ثانية أو ثلاثة، يكون معدل الإنسان مساوٍ لمعدل سرعة ونسبة صحة اختياريات الشمبانزي، لكن عندما يتعقد الأمر بعشرين رقم وبظهور أقل من ثلث ثانية، فإن قدر الشمبانزي يتفوق كثيراً على الإنسان.

كان التقسيير لما حدث هو "Cognitive Tradeoff Hypothesis" وهى النظرية التى أثبتت أن البشر قاموا بتطوير استخدام اللغة على حساب سرعة الذاكرة القصيرة.

بينما تكون فردة الشمبانزي متأهبة دائمًا للدفاع عن نفسها وأطفالها فى وسط الغابة، فإن سرعة قوة الملاحظة عندها تخطت الإنسان كثيراً.

لكن البشر احتاجوا للتواصل فيما بينهم، وأخذوا يقسمون الأدوار ويتناوبون

الحراسة، ويعبرون عن أفكارهم بتطوير لغة يفهمها كل منهم في مجموعته، وكان ذلك التطور اللغوي أكثر أهمية للبشر من تطويرهم لقدرات الذاكرة المؤقتة.

ثم عندما قرر فرد الابتعاد قليلاً عن مجموعته الأصلية والبدء بتكوين مجموعة تخصه في مكان آخر، قام بتطوير لغة تتشابه في أصولها مع لغته الأم.. وبذلك بدأت اللغات حول العالم، فتجد الكثير من اللغات التي تبدو مختلفة تماماً عن بعضها البعض، لكن لها أصل واحد.

فمثلاً اللغات السامية التي توجد في الشرق الأوسط وشمال وشرق إفريقيا، تُنسب لسام ابن سيدنا "نوح"، وتتميز بكونها أولى لغات العالم التي استعملت الأبجدية بدلاً من الصور، وقد استوحت من الأبجدية المصرية، ومنها انتقلت إلى معظم لغات العالم.

وقد وُجد لوح منقوش باللغة الأكادية - وهي اللغة السامية الشرقية - وهو رسالة دبلوماسية ترجع إلى القرن ١٤ قبل الميلاد، وقد اكتشف في "تل العمارنة" بمصر.

ومن ضمن اللغات القديمة التي اشتقت من اللغة السامية هي كل من اللغة الآشورية والسريانية والسامية والفنيقية، أما بالنسبة للغات المتداولة حتى الآن فهي اللغة العربية التي يتكلّم بها ٤٢٢ مليوناً، ولللغة العبرية ٨ مليوناً، والماليطية حوالي ٤٠ ألف نسمة، وأخيراً اللغة الأمهرية وهي اللغة الرسمية في كل من إثيوبيا وإيريتريا.

وبذلك تجد أن اليهود قد نسبوا لأنفسهم اللغة السامية، وأخذوا يتهمون الكثيرون من الأشخاص بمعاداة السامية وقد يزجون بهم في السجن أو يفرضون عليهم غرامة مالية كبيرة. لست متأكدة هل ذلك نابع من جهل أم انتهازية؟ في كلا الحالتين عدد المتكلمين باللغة العربية لا يتجاوز سبعة عشر ألف في المائة، وبذلك تكون لنا -نحن العرب- نصيب الأسد من اللغة السامية.

انقرضت معظم لغات الشرق الأوسط غير السامية ولم تبق إلا في النصوص الدينية فقط، بذلك نرى أن الله قد حفظ القرآن باللغة العربية، كما حفظ اللغة

العربية ببقاء القرآن.

قال ”فولتير“: ”إذا أردت أن تقتل شعباً فاجعله يخجل من لغته“، لذلك تجد الكثير منا لا يحترم اللغة العربية كما يجب، فشعر إنها لغة دون قيمة فعلية فلا يذكرها عندما يملاً طلب لوظيفة ما، وسرعان ما يكتب أى لغة أخرى يتقنها.. وتجد أن كثرة استخدامنا للغة العامية والفرانكوارب قد أساء كثيراً لاتقان العربية الفصحى، خاصة وإن كان مجال دراستك أو عملك باللغة الانجليزية.

وإذا أردت البحث في جوجل أو ويكيبيديا باللغة العربية تجد الكثير من الم الموضوعات المنقوصة أو المعلومات التي تحتاج إلى مرجع، بينما تجدها أكثر اكتمالاً بكل من اللغتين الانجليزية والعبرية؛ فأشعر حينها بمدى الهاون الذين تسبب فيه ٤٠٠ مليون متحدث بالعربية، ومدى اهتمام اليهود- برغم قلة عددهم - بتوثيق لغتهم للعالم!

كما أن منهج اللغة العربية الذي يدرس في مختلف مراحل التعليم الأساسي يشوه انطباع الأجيال عنها.. أتذكر عندما وصلت للصف الثالث الثانوى، قلت لنفسى هل هذا قمة دراستي للغة العربية، هل هذا أقصى ما تملكه هذه اللغة فعلا؟

الحقيقة أتنى لم أكتشف القدرة التعبيرية للغة العربية إلا عندما بدأت أقرأ قراءات حرة بعيداً عن النصوص ومواضيع القراءة الغبية التي اختاروا تدرисنا إياها.. وعندما سافرت للعديد من الدول، وجدت كم أن شعوب هذه الدول فخورون كثيراً بلغاتهم وثقافاتهم، بينما أغلب العرب الذين قابلتهم بالخارج يحاولون إخفاء هويتهم ويحاولون التكلم بصوت منخفض عندما يتكلمون لغتهم الأم حتى لا يسمعهم أى من أهل البلد، رغم معرفتهم بالطبع بأصولهم العربية.

وبذلك علمتى أسفارى أن كل من اللغة والهوية والدين والثقافة متداخلين بعضهم البعض لتمثيل شعب ما، وعلى عكس من قابلتهم، أصبحت أعرف عن نفسي أتنى عربية وسلمة، أستطيع الإبقاء على ثقافتى، كما أستطيع أن أفك بشكل علمي فأتقن علمكم وأنعلم لغتكم.. فلا تعارض ولا جدال!

متى تستشاق إلي؟

قالت "جين أوستن": "ربما إن أحببتك أقل، سأستطيع التحدث عنك أكثر.." .
فكلما أردت التكلم عنك كتبت لك.. أو تكلمت بصوت عال لأنني أعرف
أنك تسمعني..وها أنا أصبحت أكره أغنية أم كلثوم "أشكى إليك منك" ،فقد
أصبحت معيرة بشكل مستفز !

منذ عام كنت أحادثك في خيالاتي فقط وأبعث إليك تلك الأغانى علّها
توصل إليك اشتياقى.. ثم أصبح بيننا تلك الرسائل التي كانت أجمل ما في
يومى، كنت أشعر بذلك القرب الذى لا يفصله آلاف الأميال، وأنخبارك تتتسنم
وأنت تقرأها.. كنت أضيع ساعتى على توقيت البلد التى تسكنه حتى تترافق
ضحكاتنا وآلامنا.

هل أخبرتك عن مدى سعادتى عندما تأخذ برأيى فى أى شىء يخصك؟

هل أخبرتك عن مدى سعادتى عندما تبدأ يومك بي.. وتلك العصبية التى
تعتريك عندما لا تكون رسالتى أول ما تقرأ ؟ وعندما تحاول جاهداً أن ترد
على رسائل فى أسرع وقت ممكن رغم كل انشغالاتك.. هل تذكر عندما
أرسلت لي صورة "توم" وهو يضع شريطًا لاصقاً على جفنيه حتى لا ينام،
وقلت لي أن هكذا تبدو لتظل مستيقظاً فى انتظار أن أقول لك نوماً هنئاً!

هل تذكر كم مرة أيقظتك لأقول لك بعض الأشياء التافهة التى أخشى أن
أنسى قولها لك أو ربما لأننى أريد أن أطيل الحديث معك؟

أتذكر كم مرة طلبت منك أن أوصلك للمطار؟ لماذا لم تتوافق؟ لم أكن
لأصر على المجىء معك.. رغم أننى أتمنى أن نكون معاً بعيداً عن كل هذا
العبث.. هل كنت تخشى ألا تستطيع أن تنظر إلى عينى وأنت تقارننى؟

ثم تقول لي قول "جبران": "الم أقل لك يا سيدتى منذ البداية أن الحب لا
يليق بقلبى.. ها أنا أبكىتك مرة ثانية".

متى ستستيق إلىّ؟

هلا توقفت عن قول هذه الجملة، فهى تثير جنونى، كما أنك لم تقل لي شيئاً عن ذلك عندما نقابلنا لأول مرة، وقد أبكيتى عشرات المرات.. فلماذا تصر عليها وهى بعيدة كل البعد عنا؟ ولا تقل لي أنك تخاف التورط فى حبى أكثر، فقد فات الأوان على هذا القرار.

قلت لى "أريحى قبضة يدك، فأنا لن أتركك أبداً" .. وهل ما تفعله الآن ليس ترکا؟

أعلم أنتى دائمًا بخاطرك.. ولم يمر يوم دون أن تتحدث إلىّ.
ألم نقل لى أنتى علمتك الخيال؟ هل الآن أصبحت تكتفى بذلك الخيال
وتجاهلت تحقيقه لواقع؟

ألم نقل لى أنتى أنا فقط من يفهم الأسباب دون شرح.. وأننى من يعرف
السؤال والجواب؟

ألم نقل لى أن جميع الخلق لا يملؤون فراغي حين أغيب؟
ألم نقل لى أنهم يحسدونك لأنهم يعرفون كم أهواك؟
ألم تقسم لى أن لا أحد اكتمل فى عينيك مثلما اكتملت أنا؟

فمنى سيأتى هذا اليوم الذى تخرج فيه هاتفك وتتوقف عن النظر لرقمى
مائة عام أخرى.. متى ستستيق إلىّ؟

نسیان

إن فطرة التأقام نعمة عظيمة أنعمها الله على الإنسان، إلا أنها تعكس الإحساس بالانتقام.

ورغم أن التأقام يجعلك أكثر قوة، إلا أنه يقلل قيمة البشر ومكانة الأشياء بقلبك، يقلل خصوصية الإحساس التي ظننت يوماً أن الحياة لن تستمر بدونها.

فالنسیان رحمة، في معظم الأحيان يتاسب تناسباً طردياً بمرور الوقت، فتستيقظ يوماً بعد آخر متألماً على ذلك الشعور المرير.

فالآلم كذلك الحجر الصغير الذي يعكر صفو الماء للحظات، يرجع بعدها سطح الماء لطبيعته الصافية، لكن سيظل القاع مسكنًا للحجر.

مدى عمق الألم يتوقف على مكانة الشخص أو الشيء المفقود وكيفية تعويضه، وهذا ينطبق على كل الأشياء من عمل أعطيته عمرك وخبرتك إلى بيت عاصرت جدرانه مشوار حياتك، إلى إنسان كان كل حياته في وقت ما من عمرك، حتى إلى موقف تعرضت فيه إلى إهانة أو اعتداء أو خداع.

لكن عليك أولاً التفريق بين نوعين من النسیان سيخدمهما عقلك:

(Suppression) وهو النسیان الوااعي: يعني أنك تعي كل ما يتعلق بحادثة ما، ولكن تختار أن تتجاهل بإرادتك تذكرالموضوع أو التكلم عنه.

(Repression) وهو النسیان اللاوعي: فاختار مخك أن يحافظ على مشاعرك لدرجة جعلك غير قادر على استرجاع هذه الأحداث السيئة.

بالطبع كلاهما مؤقت، وقد تستثير صورة أو كلمة كل ما أردت نسيانه، فهل الظروف المحيطة بك مواطنة للنسیان أم لا؟

إذا لم تكن كذلك فعليك أن تبدأ بتغييرها.. عليك أن تريد حقاً بكل ما

تملكه من قوة أن تبدل ذلك الروتين من تذكر الأحداث، من السماع إلى تلك الأغاني.. عليك التخلص من كل الأشياء التي ترتبط في ذهنك بهذا الشيء الذي تود نسيانه.

تماماً كما يربط الطفل شكل المستشفى والبالطو الأبيض للطبيب بألم الحقيقة التي أخذها في المرة السابقة، فيبدأ بالصراخ لمجرد رؤية أي منها حتى وإن كان والداه يزوران مريضاً آخرًا.

وللتخلص من ذلك عليك تكوين روابط جديدة في ذهنك، فمثلاً ستذهب إلى المكان الذي تألمت فيه لكن بصحبة شخص عزيز على قلبك، يهتم أن يضفي البهجة على هذا الوقت. بالطبع لن تشعر بتحسين سحرى، لكن في المرة القادمة التي ستذهب فيها إلى هذا المكان، سيشعر عقلك ببعض التخبط، هل يحزن أم يسعد لرؤيه هذا المكان ثانية؟ غالباً سيختار أن يحزن لأن ذلك كان الموقف الأكثر تأثيراً، لكن سيحزن بشكل أقل.. وبالتالي ستحتاج لتراكم بعض الذكريات السعيدة لتعادل كفة ميزان ذكرى واحدة شديدة الصعوبة.

ستعرف أنك تحسنت كثيراً عندما تُسأل عن ذلك الحدث ويُقال لك "إذ كنت لا تزيد التحدث عن هذا الموضوع، فلا بأس" لكنك ستدهش السائل وتزد بكل بروء، فاخصصاً عليه كل الأحداث دون تأثر يُذكر، وذلك ما يُسمى "Isolation of Effect"

يعنى أنك نقفلت تلك الأحداث الأليمة كواقع، وتستطيع التفرقة بين سرد الحقائق وشعورك تجاهها، وهنا تبدأ مرحلة مختلفة من حياتك.

رغم أن التغلب على المشاعر الإنسانية الحزينة شديد الصعوبة، لكن هذا ما يجب عليك فعله.. لأن الحياة ستستمر بك أو بدونك!



”جوليا كاميرون“ ١٨٧٤ في مشهد من مسرحية ”ملك الملوك“

وطن أم سكن

كل ما أعرفه أن الوطن ليس البلد الذي ولدت به، لكن المكان الذي تجد نفسك به.

ليس ذلك استنكاراً لوطني، ولكن الهوية تختلف تماماً الاختلاف عن الوطن.

فالهوية هي ما يميزك حقاً، هي ما يشكل حُكمك إن خيرت بين مصلحتك ومصلحة وطنك، هي ما يجعلك تضحي بنفسك مدافعاً عن أرضها وشرفها، هي عدم قبولك لأى قدر من الاستهزاء أو التقليل من حضارتك وتراثك، هي أن تبقى على العهد حتى وإن ابتعدت عنها لعقود، أن تحاول أن تغير من سلبياتها ولا يأخذك اليأس من إصلاحها، هي شعورك بالحنين حتى تدمع عينيك فجأة دون أى مقدمات فقط لذكرك إليها.

أما وطن النفس فشيء آخر، هي أن تمتزج روحك بكل معالم وفلكلور ذلك البلد، حتى في طقسه وموقعه الجغرافي، وتستطيع إيجاد ذلك المجتمع القادر على توظيف قدراتك واحترام إبداعاتك.

لكن السكن هو أن يضيئ مصطلح الاغتراب من حياتك. فعندما كنت أجلس مع أبي في صالة منزلنا، كان أول جملة يلفظها أن يأمرني بوضع الفازة في مكان لا يرى غير الطاولة التي أمامه، حتى يستطيع أن يتكلم معى دون حواجز بيننا.

بالطبع كنت أنفذ كلماته، لكنى لم اقتتن يوماً أن الحواجز هى الأسوار التي تحرر يديك أثناء تسلقك إليها، لكنها الحواجز المعنية التي تقتل الحوار بين الناس وتدفن التقاهم فى قبر عميق.

فالسكن ليس الأربع جدران التي تحوى أشياءك - كما يعتقد غالبية البشر - وإنما ذلك الشخص الذي يحضنك بنظرته ويطمئنك بلمسة يربت بها على كففك، بتلك القبلة على جبهتك - التي تسمى العين الثالثة - لتحفظك من كل الشرور.

ذلك الإنسان الذى يشعر بضيقك من نبرة صوتك، تلك الروح التى تحلم معك و تستمع معك إلى أغنيتك المفضلة بينما تتظران إلى السماء فى منتصف الليل.

ذلك القلب الذى لا يخشى إلا فقدك، ولا يهوى إلا قربك و طموحه أنت جزء منه، صوتك هو ما يطمئنء، و رحلاتكما مليئة بالضحكات والمقالب. طعامكما له مذاق فقط بوجودكما سوياً.

و تلك العقبات التى تعكر صفاءكما تتغلبان عليها بحكمة و صبر و تعاون.

ذلك الإنسان الذى لا تمل النظر إليه، و تسعد بتقبيله وهو نائم، تحب اللعب فى خصلات شعره و تحب رائحته و رائحة أشياءه.. ذلك الذى إن خيرت آلاف المرات لاخترته هو.. هو فقط.

ذلك التمازن الذى لا ينفك بابتعاد المسافات، فتكون بينكمما نوعاً من التخاطر الفكري فتشعر بكل إحساس يعتريه قبلما يحدّث عنـه، وبالطبع لا تستطيع الكذب عليه لأن يحس بك وليس فقط يسمعك كباقي الناس.

تظل محظطاً بكل ما جمعكم يوماً و تنتظر إلى ذلك الصندوق الذى يروى أجمل المواقف فى حياتكما.. هاهو أصبح مكتساً لا تستطيع إغلاقه، لكن تتراجع عن رمى أى قصاصة منه، ثم تنظر إليه و تبتسم متمنياً لا تتوقف هذه الذكريات أبداً و إن تراكمت عدة صناديق أخرى.

ذلك الشريك الذى تفخر به فى نفسك وليس فقط لتنبهى به أمام الناس أولئرى من حولك أنك لست بمفردك.

فهنىئاً لمن يجد الوطن والسكن معاً.. و كامل عزائى لمن لم يجد كليهما!!

وما نحن إلا كلمات

رغم أن جمال الأشكال ثلاثة الأبعاد يكمن في عدد الأوجه التي تجدها، لكن هذه المقوله لا يمكن تطبيقها على البشر .. فكلما تعددت وجوه شخص ما، زاد قبحه.

عندما كنت في دراستي الابتدائية، تسائلت لماذا علينا أن نجد مرادفا لكل كلمة وعكس لكل معنى؟ ثم علمت أن الإنسان ماهو إلا كلمة.. اسمه الذي يميزه كلمة.. ديانته كلمة ينطئها.. جنسيته كلمة في جواز سفره.. ثم تتجمع تلك الكلمات فتصبح شخصية لها وجود مادي ومعنوي، فيرتبط اسمه بعائلة وتصبح له قربة، يحق له أن يعيش معهم ويرعاهم ويرعنونه.. يرثهم ويرثونه. ويصبح اسم البلد التي ولد بها جزءاً من حياته على الأقل على الورق- حتى وإن خالفت جنسية والديه- فيكون له بها حق مدنى وحق تصويبت، دون أن يعي جوهر هذا البلد فعليها.

وقد تُذَل بكلمة سب وتُعظَم بكلمة مدح.. وتحتار في نوايا البشر من حولك.. أكلماتهم كنواياتهم؟ هل الذين سمحت لهم بدخول حياتك صادقين معك في كل كلمة وإحساس ووعد.. أم يخونون القليل؟ وربما الكثير؟ في كلاما الحالتين فلطالما اعتبرت أن نصف الحقيقة هو نصف كذبة!

وقد قال ميخائيل نعمة: "الكلام مزيج من الصدق والكذب، أما السكوت فصدق لا غش فيه".

كم مرة تكذب في اليوم الواحد؟ تلك الكذبات البيضاء الصغيرة التي نمارسها يوميا، ربما لإخفاء كذبة أخرى.. أو لمنع الناس من التدخل في شؤونك.. أو لتصلح بين صديقيك.

أم إنك من أحد هؤلاء الناس الذين في رأيي يُصنفون كمرضى نفسيين يكذبون لمجرد الكذب دون هدف معين -حتى عندما تسألهم ماذا تناولوا على الإفطار يكذبون في التوفيق ونوع الوجبة- فقد أصبح الكذب هو أيتهم

المفضلة!

أم أنت تاجر عذب اللسان تختر معاشر الكلام لتحافظ على زبائنك الكثـر
رغم رداءة بضائـك؟

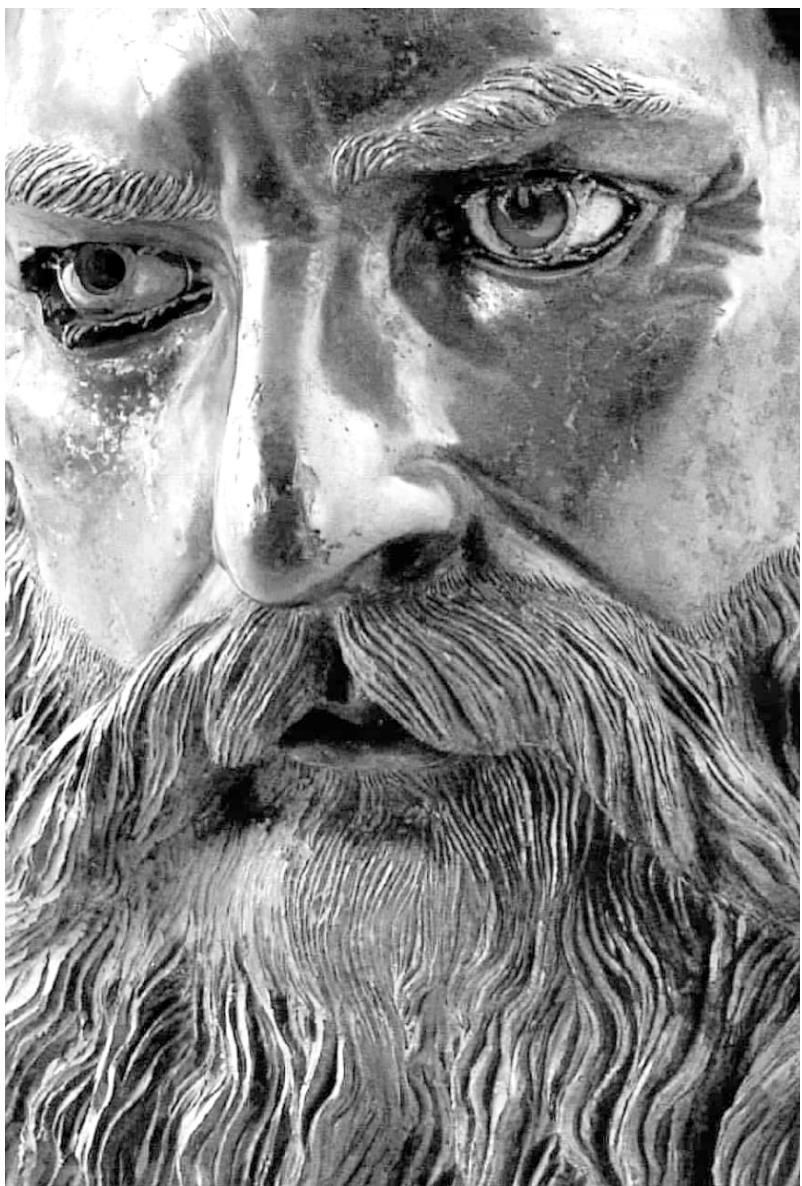
فوجئت مؤخراً بطريقة مختلفة للنصـب، خاصة عند تقديم خدمات لوجستـية،
استشارـية أو حتى طـبية.. وجه بشوش وكلام طـيب يغـلـافـانـيـة مقصودـة
بطـمسـ الحـقـيقـةـ أو تـصـغـيرـهاـ وـوـضـعـ عـلـيـهـاـ الـكـثـيرـ منـ الـأـغـلـفـةـ الـمـلـوـنـةـ، فـتـبـهـرـ
بـتـالـكـ المعـالـمـةـ الـحـسـنـةـ وـيـعـمـىـ تـفـكـيرـكـ بـتـالـكـ الـأـلـوـانـ الـزـاهـيـةـ عنـ التـقـدـيرـ الـفـعـلـيـ
لـتـالـكـ الخـدـمـةـ الـبـيـسـطـةـ الـحـمـقـاءـ الـتـىـ يـجـعـلـونـهـ تـبـدوـ كـمـعـرـوفـ يـجـبـ أـنـ تـحـفـظـهـ
لـهـ لـبـاقـيـ حـيـاتـكـ.

أم إنـكـ تـعـمـلـ ضـابـطـاـ مـتـخـفـاـ وـيـتـحـتمـ عـلـيـكـ أـنـ تـكـذـبـ فـىـ هـوـيـتـكـ وـشـخـصـيـتـكـ
وـانـتـمائـكـ لـتـؤـدـىـ وـاجـبـكـ بلـ حتـىـ لـتـظـلـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاـةـ؟ـ

قد تكونـ الحـقـيقـةـ سـفـنـةـ إـنـقـاذـكـ..ـ وـقـدـ تـكـونـ هـىـ نـفـسـهـاـ سـلـسلـةـ عـوـاصـفـ
تـقـلـبـ حـيـاتـكـ رـأـسـاـ عـلـىـ عـقـبـ!ـ لـكـ هـلـ تـسـتـطـعـ فـعـلـاـ أـنـ تـكـمـلـ ذـلـكـ الدـورـ دونـ
أـنـ يـنـهـشـ بـمـبـادـئـكـ؟ـ دـونـ أـنـ يـطـمـسـ فـطـرـتـكـ؟ـ لـلـأـسـفـ هـنـاكـ العـدـيدـ وـالـعـدـيدـ مـنـ
الـقـصـصـ التـارـيـخـيـةـ وـالـحـالـيـةـ تـجـعـلـ ذـلـكـ اـحـتـمـالـاـ يـجـبـ أـنـ يـؤـخذـ فـىـ الـحـسـبـانـ..ـ
فـالـكـثـيرـ مـنـ ضـبـاطـ مـكـافـحةـ الـمـخـدـرـاتـ أـصـبـحـواـ مـدـمـنـينـ،ـ بـيـنـماـ أـصـبـحـ الضـبـاطـ
الـذـيـنـ يـكـافـحـونـ الـجـرـيمـةـ الـمـظـمـمةـ أـكـثـرـ عـنـفـاـ أـوـ حتـىـ اـنـقـلـبـواـ عـلـىـ مـؤـسـسـاتـهـمـ.

لـذـلـكـ لـاـ تـسـتـخـفـ بـتـأـثـيرـ كـذـبـةـ صـغـيرـةـ تـلـوـ الـأـخـرـىـ عـلـيـكـ أـنـتـ..ـ عـلـىـ نـفـسـكـ
وـعـقـلـكـ وـعـقـيـدـتـكـ..ـ فـهـىـ تـغـيـرـ بـكـ روـيدـاـ روـيدـاـ دـونـ أـنـ تـعـىـ ذـلـكـ.

وـإـذـاـ لـمـ تـنـتـبـهـ لـذـلـكـ فـىـ الـوقـتـ الـمـنـاسـبـ وـإـذـاـ لـمـ تـأـخـذـ فـنـرـاتـ مـقـطـعـةـ لـلـرجـوعـ
لـحـيـائـكـ الطـبـيـعـيـةـ..ـ فـأـنـىـ أـؤـكـدـ لـكـ أـنـ لـنـ تـسـتـطـعـ الرـجـوعـ إـلـيـكـ ثـانـيـةـ،ـ لـنـ
تـسـتـطـعـ أـنـ تـصـبـحـ كـسـائـرـعـهـدـكـ مـعـ مـنـ أـحـبـوكـ..ـ وـسـيـصـبـحـ كـلـاـ الـعـالـمـينـ
وـكـلـاـ السـخـصـيـتـيـنـ يـثـيـرـانـ غـضـبـكـ..ـ سـتـصـبـحـ تـائـهـاـ مـجـهـولاـ لـاـ يـرـيـحـكـ شـيءـ
وـلـاـ تـسـتـطـعـ تـرـكـ شـيءـ.



تمثال للملك ”سوثيرس الثالث“ من المملكة ”الأوراديسية“ بالغاريا حاليا

نفذه ما أقول..!

خرج من هذا الاجتماع الذى ظل يعد له خمسة أسابيع،أخذ يفك رابطة عنقه وطلب من السكرتيرة فنجاناً من القهوة.

أخرج علبة السجائر خاصةته، لكن لم يتبقى معه أعاد نقاب. رغم أن خطيبته أهدته ولاعة عليها أول حرف من اسميهما، لكنه لا يحب استخدام الولاعات، فقط يذكّر نفسه أن يأخذها معه في كل مرة سيراها بها حتى لا تغضب.

نهض من كرسيه ذى الجلد الفاخر، فقد انتقل إلى هذا المكتب الجديد منذ عدة شهور بعدها تمت ترقيته مؤخرًا.. فقد أراد أن يدخن سيجارته خارج مبنى الشركة ويستنشق بعض الهواء.

- “إلى أين يا سيدى.. لقد أعددت لك القهوة التي طلبتها”

- “فقط ضعيها على المكتب، سأدخل سيجارة بالخارج ثم أشربها”
اشترى أعاد نقاب وبعض لبان النيكوتين، لعله يقدم على هذه الخطوة يوماً.

أشعل السيجارة ونظر أمامه.. فوجد رجلاً يحدق فيه طويلاً، لم يستطع تذكر رؤيته من قبل، فلماذا ينظر إليه هكذا؟

انتهى من السيجارة متوجهاً ذلك الرجل ثم عاد وهو يفكر في هذا المشروع الذي عمل عليه جاهداً ولم تتوافق عليه لجنة الشركة، رغم ما سيوفره لها من أسبقيّة على باقى الشركات المنافسة.

لكن ذلك الرجل ظل يظهر له كل يوم أمام الشركة، لا يفعل شيئاً إلا التحديق به وهو يركن سيارته أو يدخن سيجارته.

- تعال هنا يا نائب رئيس مجلس الإدارة.. ستذهب إلى لندن لإتمام تلك

نفذ ما أقول..!

الصفقة، ثم تقابل سلوى هناك لتشترى فستان الزفاف، رئيس الشركة محدثاً إياه.

- ”فستان الزفاف! نعم بالطبع، لكن هناك الكثير من العقود التى أريد مراجعتها قبل المموافقة على هذه الصفقة.“.

- ”لا تقلق.. سيكون عندك وقت كاف للاثنين معًا.. فقد اشتكت لى سلوى مؤخراً أنك تعمل كثيراً ولا تستطيع أن تجدك فى أغلب الوقت، وأنت تعلم أنها ابنتى الوحيدة ولا أستطيع رفض شيء لها.“.

أخذ يسأل نفسه هل يستطيع فعلاً الزواج منها فهو لا يحبها.. بل لا يطيقها ولكنها ابنة رب عمله وقد تحسن وضعه في الشركة منذ خطوبتها.

لكن وماذا عن أفكاره التي يريد تطبيقها وماذا عن قلبه الذي لا ينبع لرؤيتها.

نظر من النافذة، فوجد ذلك الرجل ينظر إليه.. فقرر أن ينزل إليه ويتحدث معه هذه المرة فقد طفح به الكيل.

- ”أنت يا هذا.. توقف عن ملاحقتي.. لقد مر شهران وأنا أجدك تتبعني وتحدق بي“.

- رد الرجل: ”أنا لا ألاحقك.. فقط لا تتزوج هذه الفتاة.. وقدم استقالتك من الشركة وابداً مشروعك الخاص.. آه وتتوقف عن شراء هذا اللبان فلن تتوقف عن التدخين!“

- ”ماذا؟ هل أنت مجنون؟ وما شأنك أنت في أشياء شخصية كهذا؟ إذا لم تتوقف عن مراقبتى سأبلغ عنك“.

- ”سأختفى من حياتك عندما تنفذ ما أنسنك به فلا أريده أن تندم، وإذا فعلت ما أقول لك ستكون من أهم رجال الأعمال في هذا العصر..“.

- من أنت لتنقول لي ماذا أفعل?
- نفذ ما أقول، فأنا.. أنت!!

السم يجد القشة

الأصل في الحياة هو التطور والتغيير وتحقيقهما يتم من الانتقال من خيار موجود بالفعل إلى آخر - من المفروض أن - يجعلنا نحظى بحياة أفضل.

لكن القدرة على التغيير غير الموجه قد تجعلك تبذل جهداً دون عائد، كما لو كنت تجري في مكانك أو كذلك المثل الشعبي الذي يصف الثور الدائر حول الساقية طوال اليوم، فلا هو يستطيع أن يستريح ولا ما يفعله قادر على تحقيق غد أفضل له.

وللأسف الغالبية العظمى من البشر في كل أنحاء العالم كل ما يسعون له هو قوت يومهم، فقط أن يمضى هذا اليوم وأطفالهم غير جائعين أو ذلك الشهر يمر دون أن يُطربون من منزلهم أو ينتظرون العام القادم لحصولهم فجأة ما خلفه هذا العام من تلف.

لا أقصد الإساءة لمعاناتهم، ولكن في حقيقة الأمرهم يقضون حياتهم عبثاً، يُولدون ويموتون دون أي تأثير، كل ما استطاعوا فعله هو البقاء على قيد الحياة.

فعندما أنظر إلى هذا الأتوبيس المكدّس وكمية المعاناة التي يتکبدها هؤلاء الناس يومياً، أستطيع أن أجزم أنهم غير قادرين على التغيير ولا التطوير.. ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يعيش إنسانٌ ما - أهم أولياته هو أن يقتات - ثم تبقى له أي قدرة إبداعية أو قدرة على اتخاذ قرار.

وهذا ما يؤدي إلى انسياق جموع من البشر للخضوع سواء من حاكمهم الظالم أو محظوظ معتدٍ.

وإذا تمعنت في سبب تفجر الثورات، ستجد تدهور الحالة الاقتصادية هو دائماً القشة التي قصمت ظهر البعير.

فقد يتحمل الناس أي شيء من إهانة كرامتهم وسرقة ثرواتهم الطبيعية وقمع

آرائهم، لكن لن يحتملون الضغط النفسي من انخفاض مستوى معيشتهم وتزايده عند عدم استطاعتهم ترويج أبنائهم أو إيجاد عمل لهم.

ولذلك تظل دول العالم الثالث في هذه المرتبة لعقود، فشعوبها لا تفكرون في التطوير ولا تأبه للعلم.. بل كل ما يروادهم هو كيف يسرقون أو يرثشون أو يقترضون حتى يستطيعون العيش.

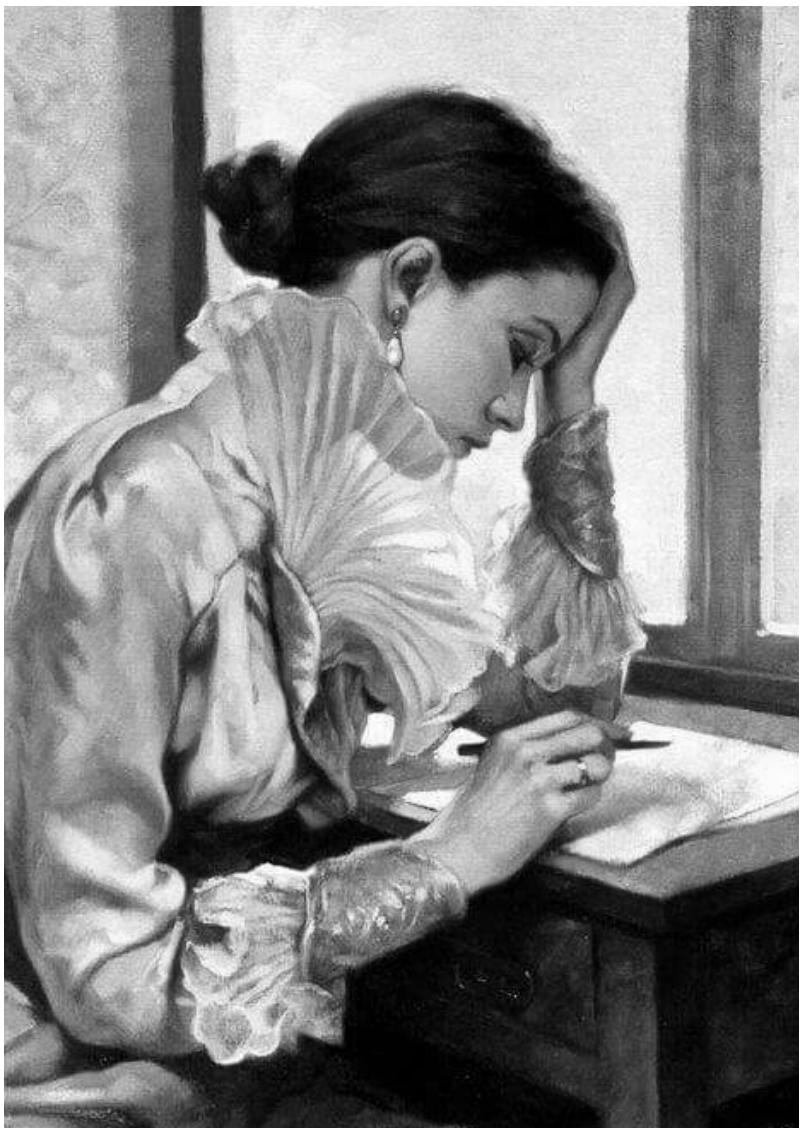
وبالتالي لتقدّم الهمة في أي شعب، عليك أن تربط إنتاجه بتحسين دخله، وتبني علاقة بين إنتاجه واصطفاف دولته باحترام بين الدول الكبرى.

ففي علم نفس الاقتصاد، وجدوا أن العامل الذي يُصنّع المنتج من أوله الآخره ويرى النتيجة الأخيرة بأم عينيه يصبح أكثر تحمساً لإكمال عمله.

بينما من عيوب الصناعة الحديثة أن كل عامل يشارك بجزء من عملية التصنيع وبالتالي يشعر كما لو كان قطعة أخرى من الماكينة التي يعمل عليها.

ولتفادي ذلك عليك أن تجعل العمال يرون المنتج النهائي ويفخرون من كونهم شاركوا فيه، وكلما زاد إنتاج المصنع زاد العائد على العاملين، فشعرون بانتفاء قوى يدفعهم دائماً لاعتبار مصلحة عملهم من مصلحتهم..

أو كما يقولون أن طباخ السم لا بد له من تذوقه!
وهذا بالضبط ما عليك فعله لتقدّم دولة منهارة اقتصادياً وعلمياً!



لوحة الفنان الإيطالي ”جياني سترينو“

هذه رسالة إليك

كنت أحب اللعب في صغرى ب تلك الأشكال المغناطيسية، كانت تبهرني تلك القوى المغناطيسية الخففة، كيف تتغلب على العوائق التي أضعها في المجال المغناطيسي بين الأقطاب.

كيف كانت هذه القطع الصغيرة سواء كانت نجمة أو مستطيل أو دائرة، تتجاهل تلك الشكليات السخيفة وتركت كل طاقتها أن تسترد بعضها البعض. عدم قدرتنا على رؤية المكنون المادي للأشياء يُضفي عليها سحرًا أحاذًا.

لم أقصد تلك المقدمة الفزيائية، فقط تذكرت طفولتي وقد كانت أحلى أيام حياتي.

ولم أشعر بذلك الشعور ثانية إلا وأمنت بجانبي، فكلما تذكرت حديثا غمرت تلك الفرحة الخجولة قلبي ثانية.

كما أتنى لم أشعر بهذه الحيرة من قبل، فقد قلت لى في إحدى رسائلك: «كأنك دعوت الله ألا أنساك، وكأن كل العالم ردد آمين».

فلا شيء يفسر شعورنا بالقرب اللازم تجاه بعضنا البعض إلا إننا أصبحنا في ذلك المجال المغناطيسي للعين.

أذكر عندما قلت لى أنك سأمت مقاومتي؟ وها أنا أرد عليك بأننى لم أشعر بهذا الوهن في حياتي من قبل، فقد توقفت عن محاولاتي الفاشلة لنسيانك، فقط أريد أن أمضى بصحبة خيالك في كل يوم تبقى من حياتي.

وحتى هذا يزداد صعوبة، فكل الأشياء فقدت رونقها، لم أعد أستمتع بأى شئ على الإطلاق حتى الأمور الفليلة التي كانت تبهجنى لم يعد لها قيمة بدونك.

تلك الإنجازات الأكاديمية والسفرات الحالمه التي طالما طمحت إليها تبدو

هذه رسالة إليك

الآن سخيفة للغاية.

حتى أنتي فقدت القدرة على تخيل حياتنا سوياً، فقط أريد أن أرتمي بين ذراعيك وأفقد الشعور بالزمن.

شعرت بذلك التيه الذي قالته "لويس جورنل": "أشعر أنتي مرغمة أن أتحدى أفكاراً وفرت لى الأمان لفترة طويلة.. هناك مكتبة بأكملها في رأسى، وجاء قررت أن لا شئ منها يستحق القراءة".

أتعلم أن ليس هناك فراغاً على سطح الأرض؟ وأن كل مساحة مفتوحة كانت أم مغلقة مليئة بالهواء الغير مرئي.. وكذلك أنت! فأنت معى حتى وإن لم أستطع رؤياك.

إذا ارتباتنى الشك إن كنا نقابلنا أم أنتي أبتدعت وجودك بحياتى، جريت إلى زجاجة العطر التى أهديتها إليها لأنأتك من أنها فى نفس المكان التى وضعتها بها.

لعلك تستغرب كيف لم تنتهى بعد وقد قلت لي أن على أضع منها كل يوم حتى أتذكرك وأنا بعيدة، لكنى لم أجرب على وضع ذلك العطر دون أن تشتمه على..

فقط مرتان وضعت منه عندما كنت فى ضيق شديد منك، أردت أن أنتهى منه وتنتهى ذكراه، لكنى توقفت.. فلا أمتاك غيره تذكرا منك.

أتعلم قصة حورية البحر التى ذهبت إلى الساحرة الشريرة لتبدلها بساقين بدلاً من زعنفتها.. أرادت أن تصبح بشرًا لكي تستطيع أن تكون مع من تحب، ولكنها في المقابلأخذت منها صوتها.. فأصبحت أمام الرجل الذى تحب، لكنها لا تستطيع التعبير له عن حبها.

ماذا إن وجدت ساحرة مماثلة.. هل أطلب منها أن أنساك أم أطلب منها أن تجتمعنى بك؟!

رهان الجحيم

قال لى أحدهم أنه يعتقد أن الشيطان أكثر مخلوقات الله اعترافاً بعظمته.. للوهلة الأولى لم أصدق ما أسمعه، لم أرد عليه وأخذت عدة دقائق أفكر كيف على أن حكم على هذا الاعتقاد، بينما هو يكمل الحديث في موضوع آخر. اكتشفت أن هذا الموضوع أكثر تعقيداً من أن يُحسم في عدة دقائق.. وبعدما تفقدت كلمات الشيطان التي ذكرت في القرآن، فوجدت ذلك الرجل محقاً.

عندما تحدي الشيطان الله قال له كما جاء في سورة "ص":
قالَ فَبِعِزْنِكَ لَا غُوَيْنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ^(١٢)
أليس بشيء عجب أن الشيطان -الذى كفر بالله ويسبهه أوجد الله جحيم النار وثواب الجنة وحساب يوم القيمة - عندما راهن على إغواء الناس وإبعادهم عن الله، بدأ ذلك الرهان بالحلف بالله؟

وفي سورة "الحشر" قال تعالى: "كَمَلَ الشَّيْطَانُ إِذَا قَالَ لِلنَّاسِ إِكْفُرْ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ"^(١٦)

وهذه الآية طبقاً لتفسير ابن كثير: أنها نزلت للعموم في اليهود باغتصارهم بمن وعدوهم بالنصر من المنافقين، وبالخصوص تذكر قصة "برصيضا العابد" حيث كان راهباً، أشتهر عنه الورع والزهد لمدة ستين عاماً، ولكن الشيطان أغواه بالتعدى على إمرأة ثم قتلها ليخفى سوء صنيعه، وعندما جاء أخواتها لينتقموا منه، قال لهم الشيطان "أنا صاحبك، أن صنعت بك هذا، فأسجد لى سجدة أنجك مما صنعت بك" فسجد له.. وبعد تنصُّل الشيطان من ذلك العابد أنهى حديثه بأنه يخاف الله واعترف بأن الله هو رب هذا الكون!

كنت أحب كثيراً اللعب بالصلصال، وعندما أحضرت ل أبي أدوات للنحت، كنت سعيدة جداً بامتلاك أدوات التشكيل مثل "محمود مختار" الذي قام

بنحت تمثال نهضة مصر.

لكن كلما قمت بعمل شكل ما، كان يبقى ضعيفاً لا يمكن الاحتفاظ به، ثم عرفت أن لتحويل الطين إلى فخار يجب تعريضه لدرجات حرارة من ٥٤٠ حتى ١٢٥٠ درجة مئوية، تختلف طبقاً لنوع الطين والاستخدام المطلوب للشكل النهائي، فالنار تقوم بتجفف الماء بداخل الطين وتجعله أكثر صلابة.

كان اعتراض إبليس على السجود لسيدينا "آدم" هو كون النار التي خلق منها أقوى من الطين الذي خلق الله منه سيدينا "آدم"، لكن ما لم يعلمه إبليس أن النار تقوى من الطين وتجعله أكثر ديمومة، وأن التربة تستطيع إخدام النيران المشتعلة بمنع وصول الأكسجين لها.

أعتقد أنه أدرك خطأه متأخراً، وأنه لا يستطيعمحو ذلك الخطأ، أراد أغلب من في الأرض معه في نفس المصير، حتى لا يشعر بالسوء بمفرده، تماماً عندما ترى شخصاً سيقع من حافة جبل أو ناطحة سحاب ويتمسك بشدة بمن فوقه، ليس طالباً للإنقاذ ولكن ليأخذه معه حتى ينتقم منه فلا يموت سُدِّي. لأن لسان حاله يقول عندما أُسقط لن أُسقط وحدي، بل ستسقطون معى جميعاً!

كانت هناك تلك الطفلة التي سيسحبون منها عينة دم لإجراء بعض التحاليل، تعجبت كثيراً لأنها لم تكن خائفة، ثم قال أبوها أنها لم تر أي حقة من قبل، لذلك أدركت أنها لم تشكّل بعد هذا الرابط بين الحقيقة والألم، لم تمر إلا دقيقةتان حتى تكون ذلك الرابط للأبد..

هذا بالضبط ما كان فيه سيدينا "آدم" عندما خلقه الله، لم يتع ما قيمة تواجده في الجنة بالقرب من الله، وطبعاً لم يعرف ماهية الأرض وما مساوى الحياة فيها.. وقد استغل إبليس ذلك الأمر وقال له كما جاء في سورة "طه": "قَالَ يَادُمْ هَلْ أَدْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخَلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى" (١٢٠).

وبالقياس على تلك الطفلة، ماذا يمثل الخلود والمُلُك لشخص لم يكون ذلك الرابط بعد؟ يتمنى الناس الخلود لأنهم متخلقون بمعنى الحياة ولكنهم يشيخون، يريدون التمتع أكثر وهم في أفضل سن وصحة ممكنين، لكن ماذا إذا سألت

طفلًا في الخامسة هل تزيد أن تكون خالدًا؟ هولم يفهم أصلًا ما هو الموت، ولماذا يمرض الناس ولماذا لا يعيشون للأبد؟

وبما أن الله أعطى للملائكة قدرات لم يعطها للبشر، وقد كان إبليس ملكاً قبلما يعصي الله، فهو برباننا هو وقبيله من حيث لا نعلم وبذلك فهو يتعلم بالمشاهدة والتجربة نقاط ضعفنا، تماماً مثل تجسسك على عدو ومعرفة نقاط اخترافه.. وبذلك عرف إبليس أن يستميل سيدنا "آدم" بحب الاستطلاع وإضعاف مقاومته بالإلحاح.. كذلك المثل الشعبي الذي يقول أن "الزن على الودان أمر من السحر".

لذلك قال تعالى في سورة "إبراهيم": "وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلَوِّمُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُ بِمُصْرِخِي إِلَّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُمُونَ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ". (٢٢)

وهذه الآية في تفسير "القرطبي" تؤكد أن إبليس لا يملك قوة على من يتبعونه، هو دعاهم فاستجابوا، والصالح هو الذي يطلب النصرة والمساعدة، والمصرخ هو المغivist وبذلك يتملص من فعلته كعادته.

وقال تعالى في سورة "الأفال": "فَلَمَّا تَرَاعَتِ الْفَتَنَنَ نَكَصَ عَلَيْهِ عَقِيبَةٍ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (٤٨).

وهنا في تفسير "القرطبي" يقول أن الشيطان تمثل للكافرين يوم "بدر" بصورة "سرافة بن مالك" وشجعهم على القتال ووعدهم بالنصر، ولما اجتمع الغريقان رأى إبليس أن الله أمد رسوله بألف من الملائكة، فولى إبليس مدبلاً، فسألته رجل من المشركين "يا سرافاتة أين تذهب؟ ألم تزعم نصرك لنا؟" فرد إبليس أنه يرى الملائكة من حيث لا يراهم المشركين وأنه يخاف عقاب الله!

توصلت بعد هذا التحليل النفسي لإبليس أنه شديد الضعف رغم مباراته الدائمة، فلا هو يستطيع تكثير خطيبته الماضية، ولا يستطيع الرجوع عن تكبره، مما جعله شديد اليأس من قدرته على تغيير مصيره!

شكة دبوس

ماذا لو كانت مجرة درب التبانة إحدى القطع التي يلعب بها أحد الأطفال العمالقة؟

فهناك عشرة آلاف تريليون نملة على وجه الأرض، في اعتبارنا هم مجرد كائنات لن نلحظ وجودها ولا تأثيرها بالنسبة لأحجامنا.

وبينما نحن نبني ناطحات السحاب وننفاخر بمشاريعنا العمالقة، يقوم النمل ببناء هندسي متعدد الطبقات فوق الأرض والكثير من الأنفاق تحت الأرض.. فهل يعقل أن تكون مجرد نمل لنوع آخر من الكائنات الأكثر ضخامة كما في قصة ”جاليفر“؟

قال ”ابن خلدون“: ”من يقرأ القليل من الفلسفة سيتجه بأغلب الأحوال إلى الإلحاد، ومن يقرأ الكثير منها يتوجه للإيمان بكل حال من الأحوال.“

تستطيع أن تعرف وأنت تقرأ الآن أنك مستيقظ، لكن ماذا وأنت نائم وتحلم بأنماكن تبدو مألوفة وإناس قد قابلتها من قبل ثم تجد نفسك تتكلم وتتصرف وتضيع سيناريyo لرددود أفعال من أمامك، وتصمم الديكور الداخلي وتقرر هل سيكون التصوير الخارجي نهاراً أم ليلاً!

ففي الأحلام قد لا تستطيع التمييز بين الواقع الذي تعيش فيه والواقع الذي يعيش به عقلك الباطن!

فهل تملك المقدرة على إثبات أنك تعي ما تفعل وأنك تتواجد في عالم واقعى وأن كل ما حولك ليس من سج خيالك؟

قال ”ديكارت“: ”لكي يتوصل المرء للحقيقة، ينبغي عليه مرة واحدة فى حياته أن يتخلص نهائياً من كل الآراء الشائعة التي تربى عليها وتنقاها فى محيطه، ويعيد بناء أفكاره بشكل جزئى من الأساس“ ومنها قال ”أنا أشك إذا أنا موجود“.

تسعة وتسعون بالمائة من الناس يظنون أنفسهم على حق، ويتبقى هذا الواحد بالمائة الذي يشكك دائمًا في ماهية الصحيح.. فكيف تعرف أنك تعرف الصواب؟ وإن كنت مصححًا في المُجمل.. فهل كل خطواتك صحيحة؟ وهل إن كانت جميعها صحيحة.. هل ستصل للجواب الصحيح؟ وماذا إن كان جوابك صحيحاً.. هل تستطيع إعادة ما فعلته والحصول على نفس تلك النتيجة؟

بالضبط هذا ما نفعله لوضع قانون رياضي أو القيام بتجربة علمية، فكل هذه الأسئلة يجب الإجابة عليها، فقبل بدء أي تجربة عليك أن تضع افتراضاً لكونك على خطأً وهذا يُسمى "Null Hypothesis"

بينما يُسمى تصورك المبدئي للفرضية التي تريده إثبات صحتها "Alternative Hypothesis" وتكون نسبة الشك هو الفرق بينهما، وكلما قلت هذه النسبة زادت دقة التجربة واعتمد صحة نتائجها.

وهذا المنهج العلمي ليس قاصراً على التجارب العلمية، ولكنك تستطيع تطبيقه في كل فكرة وخطة ستقدم عليها، بل حتى عندما تكون رأياً سياسياً، توقعًا اقتصاديًّا، تحليلاً رياضيًّا أو حتى تجاه أحد الأشخاص.

هلا نظرت إلى ترتيب التسمية السابقة؟ ستجد أن كونك على خطأ تم تسميتها أولاً، ثم كونك على صواب كانت الفرضية البديلة؛ لأنك لو اعتبرت منظورك متكاملاً منذ بدايته، لن تستطيع نقده ورؤيه عيوبه.

فقد تستطيع التعامل مع عقليات رجعية تستقبل النقد والأفكار الجديدة، ولكن العقليات المتحجرة - منها كان علمها - ميؤوسٌ منها تماماً!

طائر الرُّخ

لم أستطع أن أعرف كيف أن لى قلباً زاهداً في الحياة بينما عقلي يزداد انشغاله يوماً بعد الآخر من شدة طموحه. كنت أعتقد أن الإنسان إما أن يريد كل الأشياء أو يزهد عنها جميعاً، حتى سمعت دعاء الصحابة : "اللهم اجعل الدنيا في أيدينا وليس في قلوبنا".

حينها تأكّدت أن السعي والطموح ليس في اتجاه معاكس لزهد الحياة.

فالزهد هو عدم تعلق قلبك بمتاع الدنيا وليس بتركها تماماً، فلا تصبح عبداً للأشياء المادية والتقلبات والمناصب.

أن تستطيع التغلب على المغريات من حولك، فليس عليك ترك رفاهيات حياتك، لكن عليك مقاومة تلك المتغيرات التي قد تثير فكرك عن بوصلته الأخلاقية دون أن تدرك.

وقد قال "محمود العراقي": "لكى تعيش فى سلام مع رئيسك فى العمل، يجب أن تنتظار بالغباء حتى لا تثير قلقه على منصبه النافه".

فلا يمكن لأى منطق أن يعى كيف يمكن أن يغار شخص ذو منصب ما من مرؤوسيه، فإذاً حال من الأحوال هو أكثر منهم خبرة وثقل، وعليه أن يعلمهم ويتعاون معهم ويجعلهم معاً كالبنيان المرصوص ليحقق نجاح مؤسسته.

أما لو راودته تلك الأفكار الفاشلة التي تدل على عدم ثقته بنفسه، فإن المنظومة ستنهار شيئاً فشيئاً، إما لانشغاله بالتخلص من أكفاء رجاله -حتى لا يكونون يوماً مؤهلين لذلك الكرسى- وإنما لعدم إرساءه لسياسة صحيحة توظف إمكانات كلِّ منهم في المكان الصحيح، ويصبح كلَّ ما يشغل يومه وتفكيره هو تثبيت مكانته في تلك الشركة كما لو كان سيأخذها معه إلى قبره!

"ذات مرة قال لى جدى أن هناك نوعين من الناس، أولئك الذين يقومون

بالعمل، وأولئك الذين يُنسب إليهم، أوصانى أن أحاول أن أكون من الصنف الأول؛ فالمنافسة هناك أقلّ.“

أندرا غاندى“ رئيسة وزراء الهند السابقة، وقد تم اغتيالها مثلها مثل جدها!

استغرب كثيراً عندما أجد نفس المساوى فى أى مجتمع مهما كان سالف عهده أو جغرافته أو ثقافاته. كيف لتلك النفس البشرية أن تظلم وتتهرّب بنفس الأدوات والسبل لأكثر من واحدٍ وعشرين قرناً.

حتى“أفلاطون“ في عام ٣٧٠ قبل الميلاد، راوده ذلك الحلم بالمدينة الفاضلة، وذلك تأكيداً على خروج كل ما حوله عن المعيار الحقيقي للأخلاق والفضيلة.

نفس سمات الظلم والقوانين الوضعية التي تثير اشمئزاز العدل وتجعله يبدو كطائر الرُّخ الأسطوري، تتمنى وجوده أولئك البعض قديماً أدعى وجوده، بينما رسمه البعض الآخر.. لكنك لا تملك أى دليلاً مادياً على تواجده. أعتقد أن ذلك شعورى تجاه العدل فى هذه الحياة.. نتعذرّى به فى شعاراتنا ولا ننفذه.. نتمناه فقط عندما نفقد حقوقنا.. لكننا ندفعه حياً عندما يفكر أن يقتضي منا لا لنا.

كنت سأدعى أن طغاء اليوم قرأوا وتعلموا من طغاء الزمن السحق.. ولكن لم يقرأ قوم قريش مذكرات لعاد وثمود ولكنهم تصرفوا مثلهم.. وخير دليل على عدم قراعتهم أنهم لم يتعظوا ل نهايات كل تلك الممالك الغابرة.

وعلى ذلك فقد كان التفسير الوحيد للنسخ المطبق لمراسيم تأسيس التجبر والقصوة على مر الزمان هو مدى سهولة تربيب النفس على قصور الفكر على الجوائز والنعم والصلاحيات التي تستطيع الحصول عليها في نفس اللحظة التي تظلم فيها إنساناً آخرًا.. فختلط تلك الميزات الدخيلة بذرات الأكسجين التي تبقى كل شخص على قيد الحياة، فيُختم على قلبه ويصبح ظالماً في بيته وعمله بدلاً أن كان راعٍ ومسؤول عن رعيته.



جندي البحريه الأمريكي "فرانك برايتور" أثناء الحرب الكوريه عام ١٩٥٢.
انتشرت هذه الصورة حينها في أكثر من ١٧٠٠ جريدة.

إنسانية حرب

أنهيت للتو تلك الندوة التي نظمتها مؤسسة "أطباء بلا حدود"، وهي منظمة إنسانية تساعد الناس حول العالم في أماكن النزاعات العرقية والانشقاقات الحزبية والحروب الأهلية، لتوفير رعاية صحية سليمة حيث تهدى كل المستشفيات القريبة وتصبح أقرب استشارة طبية على بعد ٢٠٠٠ ساعات مشياً على الأقدام، ناهيك عن مدى خطورة قطع تلك المسافة دون حماية ودون طرق ممهدة وأنت تحمل المريض على لوح خشبي مهترئ!!

في هذه الندوة تحدث ثلاثة أطباء عن تجاربهم المختلفة في تلك السفرات وعن فرحتهم لأنهم كانوا سبباً لإإنقاذ البعض وتحسين حياة البعض الآخر. بعد إنقضاء أول عشرين دقيقة من تلك الندوة، علمت أن هذا بالضبط ما أتمنى فعله لما تبقى من حياتي.

فقد خسرت الكثير من أفراد أسرتي في وقت قصير، وأنذركم كان تكرر هذا الوضع القالسي لانعدام تواجد من أحبابت على قيد الحياة يفوق الاحتمال.. ثم أنظر لهؤلاء الناس ضحايا الحروب الذين فقدوا بعض أو كل أفراد أسرتهم جملة واحدة، أو ربما لا يعرف أحدهم من منهم ما زال على قيد الحياة، أو ربما كانت إحدى بناته الصغار قد اختطفت من قبل بعض الميليشيات ولا يعرف شكلها بعد عشر سنين، فمن المؤكّد أن شكلها تغير كثيراً، كيف سيجدها وأين يبحث؟

هذه الحروب التي أصبح من الصعب تسميتها - هل هي فعلاً حروب أهلية؟ أم حروب بين دول على أراض غير أراضيها؟ أم أن كل هذه الحروب مجتمعة هي عبارة عن حرب عالمية مصغرّة، يتقنون في تقنيّن أهوالها على شعب واحد؟

بعض النظر عن المسميات الإيديولوجية وعما سيتم كتابته - أو تزويره - في التاريخ، وبغض النظر بما ستعتقد الأجيال القادمة في كل ما يحدث الآن..

هناك شيء واحد لا يمكن لأحد أن يختلف عليه.. وهو مدى قسوة الحرب على كل من يشترك بها بإرادته أو رغمما عنه.

قال بول فاليرى: الحرب مجررة تدور بين أناس لا يعرفون بعضهم البعض، لحساب آخرين يعرفون بعضهم البعض ولكنهم لا يقتلون بعضهم البعض.

وها تستحضرنى تلك الحادثة التى وقعت فى بداية الحرب العالمية الأولى أثناء أعياد الكريسماس لعام ١٩١٤.

كان كل من الجيش الألماني والإنجليزى فى مواجهة الآخر، وفي عشية عيد الميلاد تقدم أحد الضباط الألمان فى مرمى الكتيبة الانجليزية وصاح "لا تطلقوا النيران، لن نحارب اليوم".

وعلى إثر ذلك اتفق قائدا الكتيبتين المتحاربتين علىأخذ هدنة احتفالا بالكريسماس، علا صوت غناء وسادت أجواء دافئة معنوية بدلًا من احتراق القائد.

وبتلائيفية شديدة تناولوا الجمعة سوياً ولعبوا أول وأشهر مباراة كرة قدم فى التاريخ العسكرى ككل.

وبعد انتهاء المباراة تبادلوا الهدايا وتقاسموا الشيكولاتة، وتحديثا عن أسرهم وأبنائهم وأخذ كل منهم يرى صور أحبابه للآخر.

انتهت الليلة وانتهت بذلك الهدنة ورجع كل ضابط إلى ثكناته على الجانب الآخر لجبهة القتال وعينيه متعلقة بزميله فى الإنسانية الذى كان يتسامر معه منذ دقائق، سيصبح عدوه ثانية وقد يصيبه وقد يقتل بعضهما الآخر.

للأسف الشديد تم تقديم كل من قائدى الكتيبة للمحاكمة العسكرية-كلٍ فى بلدٍ- لاعتبار ذلك النبل مخالفٌ للأوامر ..

أي خبل ومنفأة للمنطق والعقل تقول أن على إنسان أراد أن يخدم بلده أن يقتل أبرياء بله آخر !!

عار وشعار

من الصعب تصميم شعار يعلق بالذهن، فبغض النظر عن نوع التصميم الذي ستختاره من بين الأنواع التسعة، فعليه أن يوصل الرسالة المعنية، مخترقا حاجز اللغات والإثنيات والأعمار.

وقد يعتبر شعار "Jolly Roger" المكون من جمجمة وعظمتين متلاصتين، من أكثر الشعارات إثارة للرهبة والخوف.

ورغم أنه كان في البداية علم يوضع على سفن القرصنة، إلا أنه تم استخدامه لاحقا للتذير من خطر الموت في حقول الألغام الأرضية من حروب سابقة، قبلاً يتم توقيع "اتفاقية حظر الألغام" عام ١٩٩٧.

ولا تستهين بأهمية تلك الاتفاقية، فالإحصائيات تقدر بوجود ١١٠ مليون لغماً ما زال مدفوناً تحت الأرض حتى هذه اللحظة، بحيث يموت بسببها خمسة إلى ستة آلاف شخص سنوياً حول العالم، نصف هذا العدد من الأطفال.

بالإضافة إلى ٥٠ مليون لغماً مضاداً للأفراد ما زال مخزناً في الكثير من الدول التي وقعت على هذه الاتفاقية منذ عشرين عاماً، وحده الله يعلم لماذا لم يتخلصوا منها بعد كل هذه المدة؟

وبذكر التخزين، فالخلاص من المخلفات النووية معضلة علمية ولوجستية، تحمل العديد من المخاطر ونسب الخطأ، خاصة أن بعض هذه المواد ك"اليورانيوم ٢٣٨" مثلاً يأخذ ٤,٥ مليار عام ليتحلل.

ولذلك وجب إيجاد رمز قادر على تنبيه الأجيال القادمة من خطر العبث بتلك المخلفات المشعة.

وفي عام ١٩٦٦ ، انهمك ”Charles Baldwin“ المهندس بشركة ”داو“ الأمريكية للكيماويات على تصميم شعار يحذر من النفايات الكيميائية الخطيرة، بحيث يستطيع أن يتفق عليه العالم أجمع. فأراده أن يكون ملفتاً للنظر ومتمايلاً من أي اتجاه.

ولهذا وقع اختياره على تصميم ثلاث دوائر متداخلة في مثلك وهي متساوية الأضلاع ، بحيث يبدو موحداً من جميع الزوايا.

ذكرت هادين الشعريين لتتأكد كيف يمكن لرسمة صغيرة أن تتقذ أرواحاً، وكيف لشعار بسيط أن يؤثر على مليارات العقول حول العالم.

والآن لنرى الجانب الآخر من هذا التأثير.

أتذكر عندما كنت في الصف الثاني الابتدائي، وقالت لنا معلمتنا والآن لذهب إلى فناء المدرسة لنقوم بتجربة تحليل أشعة الشمس إلى ألوان الطيف باستخدام المنشور .

ذهلت كثيراً عندما رأيت الورقة البيضاء تتلون ، وتزاحت ألوان الطيف السبعة في منطقة صغيرة للغاية.

أردت حينها أن أفسح مجالاً لكل لون لكي يتلألق بمفرده، ولكن الطيف ظل خجولاً منحصراً في مكانه.

وعندما تدقق النظر في اختيار شعار المثلثين ، تجده اختياراً ذي دهاء واستقرار شديدين .

فلاعب الأطفال غالباً ما تكون مليئة بالألوان المختلفة حتى يتعلموا كيفية استخدام كل منها.

والآن بدلاً من أن أعلم أبني الألوان واشترى له لعبة زاهية، أصبحت أشعر بالاشمئزاز الشديد عندما أرى تلك الألوان بجانب بعضها البعض.

بالطبع إذا قرأت عن هذا العلم المسؤول، لوجدت أن مصممه ادعى أنه نظر للسماء ووجد أقدم وأبساط شعار ليقدم به اختلاف الناس وتوجهاتهم الجنسية.

لكن حقاً هذا قدر كبير من الضلال، لأن كل صورة وكل لون وكل خط وكل حرف له دلالة بداخل عقولنا، أي أن تلك التصاميم يقع وراؤها دراسات مفصلة في علم الأعصاب، لم ولن يأتي أي منها بالصادفة.

فلمَّا يتَكبد عناه صناعة رمز من الصفر وإنشاء رابط فكري جديد، إذ أنه من الأسهل تحويل مسار رابط موجود بالفعل من رمز تألفه جيداً، وهو ما كان يمتهن بترويج فكرة بديلة.

والسر هنا يكمن في "Behavioral Manipulation" أي التلاعب السلوكي ويعنى تغيير أو توجيه السلوك بطرق تضر سلوك الفرد الذي يتم التلاعب به.

وبما أن الأشكال المستطيلة مريحة جداً للعين، فهي حولنا دائماً في الحوائط والأبنية، وأن عبة الألوان بترتيب ألوان الطيف لطالما كانت وستظل مصدراً لبهجة الأطفال في جميع أنحاء العالم.

فإن ذلك الشعار صمم ليجعل ما هو شاذًا، عرفاً في المجتمعات.

وبذلك استغل راحتكم النفسية المسبقة، واعتبر ذاكرتك البصرية على تجانب هذه الألوان؛ ليقوم بتحويل شيء تندمه وتحقره إلى فكرة تستطيع تقبلاً نسبياً، فأصبحت الفكرة مرتبطة بالشعار تلقائياً دون أدنى جهد منك.

إن كنت تظن أنني أبالغ، فلتتجرب؟ بماذا تفك عندها أصف لك تقافة بها
قطعة مقصومة من الجانب؟

أيُّهما جاء ببالك أولاً؟ موبايل شركة "أبل" أم قصة "سنورايت" أم التقافة التي وقعت من يديك بعد أول قضمة؟

والآن جاء عكس الآية، لنذهب إلى علم داعش المكتوب عليه "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، إنها شهادة الإسلام الذي يرددوها - وفقاً لدراسة أجريت عام ٢٠١٥ - ١,٨ مليار مسلم، أي ما يعادل ٢٤,١٪ من سكان العالم.

ومع ذلك استطاع عدة آلاف من المنضمين لداعش تشويه صورة الإسلام،

وإلحاق تهم القتل والاغتصاب والتشريد بهذا الدين العفيف.

حتى أنا -نحن المسلمين- نتذكر ذلك الفيديو، عندما كان علمهم الأسود في الأبيض مكتوباً عليه الشهادة، قائماً بجانب بعض الأسرى ذوي البدل البرتقالية، وذلك الملثم المختل قام بنبث أحدهم وهو يردد الله أكبر.

وبغض النظر هل كان الموقف حقيقة أم إخراجاً هولندياً، فإن الفكرة ستتعلق بعقول الناس لعشرات السنين.

المشكلة في الصورة أنها تظل وتوثق الحدث، وأن عظمة الإسلام في اليقين والرحمة والأخلاق الحميدة، تلك الصفات التي يقومون بتجريدها شيئاً فشيئاً دون أدنى دراية منا بذلك.



أؤمن جدًّا أننى «Old Soul»

وكلما مر الوقت تأكيدت أكثر أننى تواجدت فى هذه الحياة بصورة أو باخرى في زمن آخر.

نعم.. أزمنة أخرى، وليس عوالم متوازية! وربما أتواجد بظروف ولامعات مختلفة في إحدى العوالم المتوازية كنظيرية الأبعاد المتناهزة التي افترحها "أينشتاين".

فربما ذلك يفسر مدى شعوري الدائم بالجهد الذهنی والجسدي وليس نتاجاً لنفسيتي السينة.

لكننى أجد الكثير من الأصدقاء القدامى، التى تفصلنى عنهم بضعة حقب زمانية أو حتى عدة قرون.

فأنا أجدهم فى أفكارهم وكلماتهم، كم يريحنى النقاش معهم!

كيف أن تجاربهم تشبهت مع الكثير من تجارب حياتى، فجعلت لـنا نفس الآراء، والمشاعر دون أن يعرف أحدهنا الآخر. فأنا أحدهم يقولون كلماتي ويترجمون أفكارى ويتمسون أحاسيسى حتى قبل أن أقرأ لهم.

فأنا لم أقللهم أو أتأثر بهم، بل هو نوع من التخاطر الفكرى الذى تفصله عشرات وربما مئات السنين.

د. نانسى الفرزدق